

Hercule Poirot 1937

أعظم مؤلفة روايات بوليسية في التاريخ

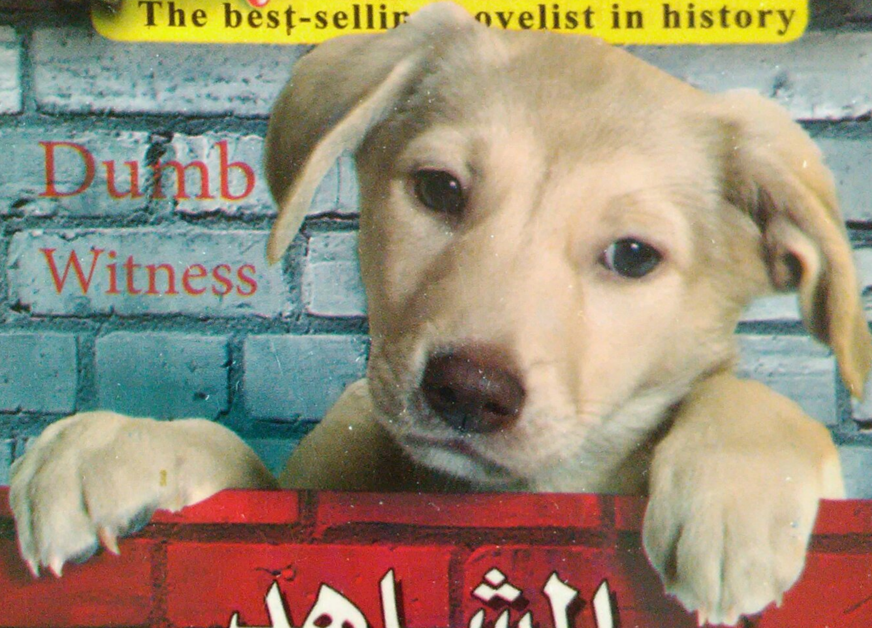


أجاثا كريستي

Queen of Detective fiction

Agatha Christie

The best-selling novelist in history



Dumb Witness

الشاهد الصامت



دار الخلود للنشر والتوزيع

للمحقق هيركيول بوارو

الشاهد الصامت

اجاثا كريستي



الرمحي احمد

مجموعة اجاثا كريستي



أجاثا كريستي

الشاهد الصامت

Dumb Witness

1937 م

تأليف

أجاثا كريستى

دار الخلود
للنشر والتوزيع

الوصية الغريبة



في اليوم الأول من شهر مايو قضت مس اراندل نحبها. ورغم أن مرضها كان قصيرا إلا أن موتها لم يثر دهشة أحد من سكان قرية ماركيت بيسنج حيث كانت تقيم منذ كانت صبية في السادسة عشرة من عمرها. وذلك؛ أن اميلي اراندل كانت قد تجاوزت السبعين، و كانت معتلة الصحة منذ سنوات، بل إنها في الواقع أشرفت علي الموت منذ عام ونصف العام، إثر نوبة شبيهة بتلك التي قضت عليها أخيراً.

ولكن إذا كان موت مس اراندل لم يدهش أحداً، فإن شيئاً آخر هو الذي أثار دهشة الناس.

لقد أهاجت وصيتها فيمن عرفوا بفحواها العديد من المشاعر المتباينة: الدهشة، والإثارة، والفرحة، والسخط الشديد، والغضب، واليأس ثم الشائعات والقيل والقال.

فخلال أسابيع متتابعة، بل شهور متصلة لم يكن لأهل ماركيت بيسنج من حديث إلا عن هذه الوصية، وكل يحاول أن يعقب بكلمة أو يضيف شيئاً من عنده، ابتداء من مستر جونز البقال الذي قال: (إن الدم لا ينقلب ماء)، إلى مس همفري الموظفة بمكتب البريد، والتي قالت: (صدقوني.. لابد أن في الأمر سراً خفياً).

والذي أضفي على الموضوع لهيباً من إلنار هو أن الوصية حررت يوم ٢١ إبريل أي قبل وفاة صاحبتها بعشرة أيام، يضاف إلى هذا أن أقارب اميلي اراندل المقربين كانوا يقيمون معها قبل هذا التاريخ مباشرة بمناسبة عيد الفصح، مما أفسح المجال لثرثرة بددت عن ماركيت بيسنج ما يعرو حياتها من رتابة وملل.

وكان مفروضاً في مس ويلهيلمينا لاوسون، بحكم أنها وصيفة مس اراندل، أن تكون هي الوحيدة التي تعرف حقائق الموضوع وخباياه، ولكنها بدورها اعترفت بأنها غارقة في الظلام تضل فيه خطاها، وأنها كغيرها ذهلت عندما فضت الوصية وعرفت بفحواها، وكان كثيرون طبعاً ينكرون عليها هذا الادعاء ولا يصدقون كلمة من مزاعمها.

ومهما يكن من الأمر، فقد كانت مس اراندل - المرأة التي ماتت - هي الوحيدة التي تعرف دوافعها الخفية التي بعثتها على تحرير هذه الوصية، ولكنها وريت الثري، وسرها دفين في أحشائها.

في يوم الجمعة السابق لعيد الفصح كانت مس اراندل واقفة في بهو بيتها (فيللا ليتلجرين) تصدر تعليماتها إلى مس لاوسون:

قالت تسأل وصيفتها: كيف وزعت الغرف بين ضيوفنا يا مس لاوسون؟

وأجابت: أرجو أن لا يكون قد جانبني الصواب فيما فعلت، فقد خصصت الدكتور تانوا وزوجته بالغرفة البلوط، وتريزا بالغرفة الزرقاء، أما مستر شارل فسأتركه في غرفة الأطفال.

فعقبت مس اراندل: أنزلي تيريزا في غرفة الأطفال، أما مستر شارل فأعطيه الغرفة الزرقاء.

واعتذرت مس لاوسون عن سوء تصرفها، ووعدت بأن تبدل الغرفتين.

وغمغمت مس لاوسون في رقة: يؤسفني أن الصغار الأعزاء لن يحضروا.

فقد كانت مس لاوسون ولوعة بالأطفال وتعرف كيف تحسن معاملتهم وتسوسهم.

وقالت ربة الدار: على أي حال حسبنا أربعة من الضيوف

ثم عقبت: إن بيلا تفسد أطفالها بالإسراف في تدليلهم، فهم نادرا ما ينفذون ما يطلب إليهم.

وأومأت مس اراندل موافقة وقالت: إنها سيدة عظيمة.

فقالت مس لاوسون: ولكن لاشك أن الحياة تشق عليها وهي تقيم في هذه المنطقة الهمجية أسمراً.

فهزت مس ارندل كتفيها في استسلام وهي تقول:

- إنها هي التي اختارت (عشها) هناك، فعليها أن تلزمه.

وأردفت مس ارندل تقول إنها ذاهبة إلى القرية لتبتاع حاجيات عطلة الأسبوع، فقاطعتها مس لاوسون:

- ولم لا تستريحين أنت وأذهب أنا بدلاً من.

- إن عيبك يا ميني أنك وديعة غير حازمة، وروجرز في حاجة إلى كلمة تأنيب عنيفة.. ولكن أين بوب؟!

وأقبل الكلب يجري عند سماع اسمه، وأخذ يتواثب حول قدمي سيدته ويبصبص بذنبه.

وإن هي إلا لحظات حتي غارت مس ارندل الفيللا وكلبها الصغير المدلل في أعقابها، ومس لاوسون قائمة في فجوة الباب تتابعهما، ومن عينيها تطل نظرة بعيدة شاردة.

وسمعت مس لاوسون من خلفها صوتاً نسائياً يقول:

- إنني لم أعثر على أكياس الوسائد في موضعها المألوف يا مس لاوسون.

- حقاً؟ ما أغباني! لابد أني أودعتها مكانا آخر.

سآتيك بها حالاً.

ورجعت مس لاوسون إلى داخل البيت تباشر أعمالها المنزلية المعتادة، والخادمة ميني تهرول في أعقابها.

أخذت مس ارندل تشق طريقها في شارع القرية في عظمة وخيلاء، وأصحاب المتاجر يخفون إلى استقبالها في احترام، أو يومئون إليها بالتحية في تقدير، ولا عجب في هذا فهي ربة (ليتلجرين)، ومن أقدم ساكنات القرية،

وسليلة أسرة عريقة ذات شأن.

ومضت هي من ناحيتها تصدر إليهم تعليماتها أو توجه إليهم لومها، فالزبد الذي أرسلوه إليها بالأمس لم يكن طازجاً، واللحم كان من صنف رديء، وأصحاب المتاجر يعتذرون ويعدون بأن لا تتكرر منهم الأخطاء.

أما كلبها فكان يجري وراءها، مرحاً يتوثب، كأنما يحس بدوره أن له شأن يختلف عن شأن سائر كلاب القرية.

وفي دكان البقال التقت اميلي اراندل بصديقتها كارولين، وهي سيدة من نفس الطراز، ذات عظمة وأبهة ملوكية.

وتبادلت المرأتان التحية في مودة، وتساءلت كارولين بيبودي:

- أتتوقعين قدوم أحد من أقاربك بمناسبة عيد الفصح؟

- نعم.. جميعاً.. تيريزا وشارل وبيلا.

- إذن فقد رجعت بيلا إلى الوطن؟ وهل جاء زوجها معها؟

- إنه في صحبتها.

عبارات وجيزة مقتضبة، ولكن كليهما كانتا تعرفان ما ينطوي وراءها، وذلك أن بيلا وينتر - ابنة اخت اميلي ارانديل - تزوجت يونانياً على غير رغبة من أهلها، ورحلت معه إلى خارج البلاد، والزواج من يوناني سبة عار عند الإنجليزي الاصيل.

وقالت مس بيبودي مستطردة:

- إن زوجها رجل ذكي، كما أنه جذاب لطيف المعشر.

وأومأت مس اراندل موافقة:

- إنه فعلاً مهذب ظريف.

وحين خرجتا إلى الطريق تساءلت كارولين بيبودي:

- ما هذا الذي بلغني عن خطوبة دونالدسون لتيريزا؟

وهزت مس ارandel كتفيها في ضيق وقالت:

- إن شباب هذه الأيام يفعلون ما يحلو لهم، وأغلب ظني أنها خطوبة طويلة ممتدة، فهو لا يملك شيئاً من المال.

- ولكن تيريزا تملك ثروة لا يستهان بها.

فقالت مس اراندل في خشونة وجفاء:

- وهل يرتضي الرجال أن يعيشوا على مال زوجاتهم؟

- إنهم في هذه الأيام لا يستنكفون أن يفعلوا! أننا - إنت وأنا يا أميلي - من جيل بائد انقرضت تقاليده.

- إنه على أي حال طبيب بارع.

وبعد سكتة قصيرة قالت مس بيبودي:

- إذا جاء هذا الأحمق شارل فابعثي به إليّ ليزورني.

- طبعاً.. سأبلغه دعوتك.

وتبادلت المرأتان التحية مرة أخري، وانصرفت كل منهما إلى شأنها.

كان بين المرأتين معرفة وثيقة يرتد عهدها إلى خمسين سنة مضت، وكانت مس بيبودي لا تجهل ما لابس حياة الجنرال اراندل - والد اميلي - من مخاز ونكبات، وكانت تعرف كيف أن زواج توماس اراندل أصاب اخواته بصدمة هزت منهن الأعماق، ولكن المرأتين ما كانتا لتتبادلا كلمة واحدة عن هذا الماضي المتسم بالعار، وإن كانت في طوية كل منهما نقمة على هذا الجيل الجديد وما يتورط فيه من رعونة وطيش.

فتيريزا مثلاً منذ آلت إليها ثروتها في سن العشرين انقلبت فتاة متهورة تستخف بكل الأخلاقيات، فصورتها دائماً في الصحف، وقد انضمت إلى فئة من شباب لندن المعروف بالمجون، وإقامة السهرات العربيدة، أما عن خطوبتها للدكتور دونالدسون فقد أثارت نقمة اميلي، فهو ليس بالرجل اللائق لا يمكن أن تصلح زوجة لمثل هذا الطبيب الريفي.

وندت اميلي تنهيدة عن صدرها حين انتقلت بخواطرها إلى بيلا.. إنها لا تكاد تأخذ شيئاً على بيلا، فهي امرأة صالحة، وزوجة وفية وأم متفانية، ومثالية لا عيب في سلوكها، ولكنها شديدة الغباء، وأشد ما يؤخذ عليها أنها تزوجت يونانياً، ورغم أنه شاب مهذب حلو الحديث وبارع في مهنته إلا أن اميلي كانت تنفر منه، ولا تطمئن إلى رقته ونعومته، ولذلك لم تكن تحب طفليه إذ ورثا عنه لطفه وجاذبيته.

وأخيراً شارل ابن اخيها..! إنه رقيق، مرح، لا تنفك الابتسامة تتخايل على شفتيه، وكلماته تسيل عذوبة ودعابة، ولكنها لا تثق به على الإطلاق.

وانبعثت من صدرها تنهيدة عميقة، وأحست اميلي ارانديل فجأة أنها شاخت وأن العمر تقدم بها عشرات الأعوام، وشعرت أن العمر يوشك أن ينتهي، وأنها وشيكة بأن تبلغ نهاية المطاف.

وقفزت إلى ذهنها الوصية التي حررت منذ أعوام.. لقد أوصت فيها للخدم وللخيرات بقدر ضخم من المال، على أن تقسم ثروتها الطائلة بالتساوي بين أقاربها الثلاثة: ولدي أخيها شارل وابنة اختها بيلا.

ومضت تساءل نفسها عما إذا لم تكن هناك وسيلة تحول دون زوج بيلا اليوناني والاستيلاء على ثروة زوجته وتبديدها..؟ لابد أن تتصل بمحاميها بيرفيس وتستفسر منه عن هذا؟

وانتزعت نفسها من خواطرها حين أشرفت على فيللا ليتلجرين.. وسألت عما إذا كان أحد من أقاربها قد وصل.

كان الإخوان شارل وتيريزا قد جاءا بالسيارة، أما بيلا وزوجها الدكتور تانوا فقدما بالقطار بعد ذلك بقليل.

وأقبل شارل عليها يقول بلهجته المرحة المألوفة:

- كيف حالك يا عمتي اميلي؟ ان صحتك على ما يرام.

ومال إليها يطبع قبلة على وجنتها، أما تيريزا فاكتفت بأن قالت:

- كيف حالك يا عمتي؟

وتأملت اميلي ابنة أخيها.. إنها تبدو متعبة منهوكة، وحول عينيها هالة سوداء داكنة، وفي ركني شفتيها خطوط غائرة - كل هذا من أثر السهر والليالي المجنونة العربيدة.

وتناولوا الشاي في قاعة الاستقبال. وجعلت بيلا تتطلع إلى ابنة عمها تيريزا في اهتمام، محاولة أن تعي في ذهنها طراز ملابسها، فقد كانت بيلا مولعة بالثياب، ولكنها لسوء حظها كانت متجردة من سلامة الذوق وحسن الاختيار، وحتي الثياب الغالية كانت تبدو عليها زرية غير مهندمة، في حين كانت تيريزا دائماً بادية الاناقة.

أما زوجها الدكتور تانوا فمضي يتحدث إلى الخالة اميلي بصوته المليء العذب النبرات، وبأسلوبه المهذب الحافل بعبارات المجاملة.

أما مس لاوسون فجعلت تروح وتغدو، وتشغل نفسها بعشرات من المهام الصغيرة، وكان شارل يخف إلى معاونتها، ولكنها كانت تشيح عنه بوجهها، ولا يتلقي منها كلمة شكر واحدة.

وحين فرغوا من الشاي وخرجوا يتجولون في الحديقة مال شارل إلى أخته يقول لها:

- إن مس لاوسون لا تميل إليّ.

فقالت تيريزا متهكمة:

- هذا عجيب.. فتلك أول مرة لا تقع فيها امرأة في فتنة سحرك وجاذبيتك.

فارتسمت على شفتي شارل ابتسامة عريضة وقال:

- من حسن حظي أن هذه المرأة هي لاوسون.

وأخذت مس لاوسون تتمشي في الحديقة مع مسز تانوا، وراحت تستفسر منها عن تأمل ثياب تيريزا، واسترسلت تفيض في الحديث عن صغارها، وأسعدها أن تجد في ميني لاوسون رفيقة تجيد الانصات.

وأقبل بعد قليل شاب أشقر الشعر ذو وجه جاد، على عينيه نظارة من طراز (البانس نيه)، ورحبت به مع اراندل في مودة، وحيته تيريزا بقولها: (مرحباً يا

ريكس)، وتأبطت ذراعه، وأخذا يتمشيان مبتعدين.

وتابعهما شارل ببصره مقطبا جبينه، ثم ما لبث أن انسحب متجهاً إلى البستاني العجوز الذي كان يعرفه منذ كان طفلاً صغيراً، وأخذ يروح عن نفسه بتبادل الحديث معه.

وحين رجعت مس اراندل إلى البيت وجدت شارل يلاعب كلبها الفوكس تيريار بوب.

كان الكلب واقفاً على رأس الدرج وكرته الصغيرة بين أسنانه، وهو يبصبص بذيله في ابتهاج.

وناداه شارل:

- هيا.. هيا.. يا صديقي العزيز.

ووقف بوب على قائمتيه الخلفيتين، ووضع الكرة على حافة بسطة الدرج، ثم دفعها بقدمه، فأخذت تنحدر على السلم درجة درجة، والكلب يتواثب فوق البسطة فرحاً حتي استقرت الكرة في يد شارل عند أسفل الدرج.

وقذف شارل بالكرة إلى بوب، فتلقفها بفمه، ثم أعادها إلى شارل كما فعل من قبل.

وقال شارل ضاحكاً:

- هذه هي لعبته المفضلة الأثيرة عنده.

وابتسمت العمة اميلي وقالت:

- لو أنه امضي ساعات يمارس هذه اللعبة لما ضاق بها.

ومضت إلى قاعة الاستقبال وشارل في أعقابها، وبوب يلاحقهما بنباحه الحزين إذ حرم من لعبته الأثيرة.

وتطلع شارل من النافذة إلى الحديقة وقال:

- هذه تيريزا مع صاحبها ذلك الطبيب الأبله.

فقالت العمة متسائلة:

- أتحسب تيريزا جادة في هذه العلاقة؟!

- إنها مهووسة به، وإن كنت لا أري فيه شيئاً مثيرا، ولكن لعلها مفتونة بنظراته العميقة إليها فهذا شيء جديد عليها، وإن كنت اعتقد أنه إنما يفكر فيها بأسلوبه العلمي باعتبارها (عينة) علمية جديرة بالفحص والدراسة، غير أن المسكين لا يدري أن تيريزا مسرفة لا يسد جشعها كنز من المال.

وقالت مس اراندل في جفاء:

- إنها تستطيع أن تبدل نمط حياتها.. إذا شاءت، وعلي أية حال فإن لتيريزا دخلاً لا يستهان به.

- طبعا.. طبعا.. إن دخلها كبير.

- وتطلع شارل إلى عمته بنظرة يطل منها الشعور بالذنب لأنه كان يعلم أن هذا الدخل الكبير المزعوم كاد أن ينضب.

وفي ذلك المساء انتظموا حول المائدة يترقبون في صبر نافذ وصول شارل.

وأخيراً جاء شارل مهرولاً ووجهه محمر محتقن وقال معتذراً:

- آسف يا عمتي لتأخري، ولكن كلبك اللعين بوب كاد يتسبب في دق عنقي.. لقد ترك كرته عند رأس الدرج فدست عليها وانزلقت قدمي وكدت أسقط إلى أسفل السلم وتدق عنقي.

ومالت مس لاوسون تربت على ظهر بوب وهي تقول:

- يالك من شقي سفاح.. لم تركت الكرة عند رأس السلم؟

وتطلع إليها بوب في احتقار، ثم أشاح عنها مبتعداً، كأنما فهم ما تفوهت به من زجر وتأنيب.

وقالت مس اراندل:

- هذا شيء خطر جداً.. خذي الكرة يا ميني واخفيها في الدرج كالمعتاد.

وهرعت مس لاوسون إلى الخارج لتبحث عن الكرة.

وعلي العشاء احتكر الدكتور تانوا الحديث، وأخذ يسرد حكايات طريفة

عن مدينة أسمرا.

وأوي الجميع إلى الفراش مبكرين، وحملت مس لاوسون إلى مخدومتها في مخدعها شلة الصوف ونظارتها وحقيبة الأشغال وكتاباً، وقالت لها:

- إن الدكتور تانوا لطيف جداً، وحديثه شائق طريف.

فهزت مس اراندل كتفيها في استخفاف وقالت:

- هل أخطرت ايلين أن توقظني في السادسة والنصف؟

- نعم، وطلبت منها أن لا تعد لك الشاي.

ثم أردفت:

- أنك تعرفين طبعاً أسقف ساوثبريدج؟ لقد أخبرني أنه لا داعي لأن تصومي قبل حضور القداس فيمكنك.

بيد أن مس اراندل بادرت تقاطعها بقولها:

- لقد اعتدت أن لا اتناول شيئاً على الإطلاق قبل القداس، فلم اغير الآن عادة ألفتها وجريت عليها طوال عمري؟

فارتج القول على مس لاوسون وتمتمت:

- لقد خشيت أن..

واستطردت مس اراندل دون أن تستمع إلى بقية العبارة:

- انزعي الطوق من رقبة بوب.

وأسرعت (الجارية) الخاضعة تلبي رغبة مولاتها في استسلام.

وأرادت أن تجامل مخدومتها فقالت:

- الحق أن اقرباءك قوم لطاف.

- لطاف؟ إنهم يتلطفون معي بقدر ما يطمعون في انتزاع شيء من المال مني.

- أوه يا عزيزتي مس اراندل..! إنني أعتقد أن..

- أنت تعتقدين، أما أنا فأعرف.. إنني أعرف أنهم حريصون على زيارتي في الأعياد لكي يطلبوا مني شيئاً من المال.. وأني لاتساءل أيهم سيسبق غيره إلى المطالبة.

ولم يمتد التساؤل طويلاً بمس ارانديل، ففي صباح اليوم التالي ومس ارانديل منهمكة في تدوين بعض حسابات النفقات دخل عليها شارل حوالي العاشرة صباحاً وهو يقول:

- آسف يا عمتي أن لم أشاركك طعام الفطور، ولكني لم أصب من النوم إلا قليلاً، أما تيريزا فكانت أسوأ حالاً إذ لم يغمض لها جفن طوال الليل.

فقالت مس ارانديل في جفاء:

- إن الناس لا يبالون هذه الأيام بمشاعر الخدم فيرهقونهم بإعداد الفطور عشرات المرات في اليوم الواحد، فكل واحد يتناول طعامه بمفرده، ولكني لا أقر هذه المعاملة.

فقال شارل مجاملاً:

- إنك على حق في هذا يا عمتي.. ذلك حقاً هو الشعور الإنساني النبيل.

وارتسمت على شفتيه ابتسامته الجذابة المألوفة، ووجدت مس ارانديل نفسها تبتسم هي الأخري على الرغم منها.

وارتمي يجلس بجانبها، ثم قال في صوت لطيف النبرات:

- والآن يؤسفني يا عمتي أن أزعجك، ولكنني في أشد حالات الإفلاس، فهل يمكنك أن تساعديني بشيء من المال؟ مائة جنيه مبلغ كاف جداً وكفيل بأن ينقذني من ورطتي.

ولكن سمات وجهها لم تكن مشجعة، وشاعت في ابتسامتها بوادر الامتعاض.

ولم تتردد مس ارانديل لحظة واحدة في أن تصارحه بما يدور في نفسها.

وقالت في إيجاز إنها لن تعطيه حتي ولا بنساً واحداً.

وفي هذه اللحظة دخلت مس لاوسون إلى القاعة تحوم هنا وهناك كعادتها، وانقطع الحديث وغادر شارل الغرفة ساخطاً.

❊❊❊

المعجي
أحمد

المال والحب

صعد شارل إلى غرفة أخته متضرج الوجه احمراراً، وكانت تيريزا لاتزال في فراشها متكاسلة تتثاءب وتتمطى.

وقال لها في نبرة توحي بما يعتمل في صدره من ضيق:

- لقد حاولت أن أتقدم عليك خطوة ولكني فشلت.

فتساءلت تيريزا في صوت حاد النبرات:

- ماذا تقصد بأنك حاولت أن تسبقني؟

- لقد طلبت من عمتي مائة جنيه.

- حقاً؟ إذن فقد أردت أن تسد عليّ الطريق؟ وما كان جوابها؟

- الرفض.. الرفض الحاسم البات.. لقد قالت في صراحة تامة ودون أي مواربة إنني لا أحبها، وأنه لولا أموالها لما فكرت يوماً في زيارتها، وأنه يجب أن أنزع الأوهام من رأسي وأن أعرف أنها لن تمنحني جنيهاً واحداً، ثم قالت إنها تعرف أن أسرتها المحبة الوفية تترقب موتها بفروغ صبر ليستولوا على ثروتها، ولكن أسرتها سوف تصاب بصدمة لا تفيق منها.

فقالت تيريزا في جفاء:

- أما كان أولي بك أن تتريث يوماً أو يومين.

- لقد خشيت أن تسبقيني أنت أو تانوا إليها.. والآن يجب أن تعلمي يا عزيزتي تيريزا أن العمة اميلي ليست بالمرأة البلهاء.. إنها تدرك حقيقة مشاعرنا تجاهها.

فقالت تيريزا:

- وهل تحسب أنني كنت أعتقد إنها بلهاء؟ أنها امرأة ذكية ماكرة.

وضحك شارل وقال مستطرداً:

- لقد حاولت أن أثير مخاوفها، وأن أهددها تهديداً خفياً.

- حقاً؟ وما عساك قلت لها يا تري؟

- لقد قلت لها إن سلوكها هذا يعرضها للخطر، ثم إنها حين تصعد إلى السماء لن تأخذ أموالها معها.

فقالت تيريزا:

- يا لك من أحمق يا شارل! كيف تجسر على أن تواجهها بهذا الحديث.

- إنني لست بالاحمق كما تظنين، بل إنني خبير بعلم النفس.. فمثل هذا الإيحاء قد يحملها على أن تعطينا بعض أموالها.. إن الخوف من الموت أو الخطر يجعلها سخية لا تضن بمالها.

- وهل تراها أدركت ما ترمي إليه؟

- لا أدري.. كان كل ما ردت به هو أنها تعرف كيف تحافظ على سلامتها، وكيف تتوقي الأخطار.

فعادت تيريزا تقول في لهجة غاضبة:

- الحق يا شارل أنني لم أر من هو أشد حماقة منك.

- لقد برح بي الإفلاس، ولشد ما أتمني أن أستمتع بحياتي.. أن هذه العجوز لا تكاد تنفق عشر دخلها، فمن حقنا أن نستمتع بأموالها ومنذ الآن.. ألسنا نحن ورثتها الوحيدين.. ثم من يدرينا أنها قد تعيش حتي تبلغ المائة عام؟ لو أنني وجدت وسيلة لكي.

وأمسك لا يتم عبارته، ولكن تيريزا تطلعت إليه بتفهم واضح فقال لها: ألا تتمنين أنت أيضاً هذا؟

وأومأت برأسها موافقة دون أن تتفوه بحرف واحد.

وبعد سكتة قصيرة قالت تيريزا:

- إن ريكس هو الوحيد الذي يستطيع أن يفعل هذا في يسر وسهولة.. لو أنني استطعت أن أقنعه بأنه عالم ضليع، وأن في وسعه أن يصل بأبحاثه إلى اكتشاف المعجزات العلمية لو توافر له المال.. أن بضعة ألوف من الجنيهات يمكن أن تمهد أمامه الطريق إلى أمجاد عظيمة.

وقال شارل متسائلاً:

- أتظنين أن بيلا وتانوا قد يظفران منها بشيء من المال قبل رحيلهما؟

فقالت تيريزا:

- إن بيلا لا يهمها المال فيما أعتقد، فها أنت تراها ترتدي ما يكاد يشبه الاسمال الزرية البالة.

- وهل نسيت أطفالها.. لاشك في أنها في حاجة إلى المال لتلحقهم بمدارس راقية، ثم إن زوجها جشع طماع، وأغلب ظني أنه بدد ثروتها في المضاربات.

فردت تيريزا مؤمنة:

- صدقت.. وما من شك في أنه سيحاول أن ينال شيئاً قبل رحيله.

وحين نزل شارل إلى الردهة جاء بوب يتواثب عند قدميه، وهو ينبح نباحاً متواصلاً في صوت خافت، ثم يجري خطوات في اتجاه قاعة الاستقبال، ويعود ثانية إلى شارل وينبح من جديد، وتطلع إليه شارل في استغراب وهو يقول:

- ماذا دهاك يا عزيزي؟ ما الذي تريده يا تري؟

وعاد الكلب يتردد بين باب قاعة الاستقبال وبين قدمي شارل، ونباحه متواصل لا يكف عنه.

وتبعه شارل إلى القاعة، وتوقف بوب عند مكتب في أحد الأركان، وأخذ ينبح ويشب على قائمتيه.

وقال شارل يخاطب الكلب:

- ما عساك تريد يا بني؟ هل في أدراج المكتب شيء يهمك؟

وفتح درج المكتب فلم يجد فيه إلا مظروفاً تكدست فيه أوراق البنكنوت.

وتردد شارل برهة، ثم تطلع ناحية باب الغرفة، ولم يجد أحداً مقبلاً، فأسرع وتناول خمسة جنيهات وثلاثة شلنات دسها في جيبه، وأعاد المظروف مكانه، وأغلق الدرج كما كان.

وقال لبوب:

-آسف يا صديقي.. إن ما في الدرج يهمني أنا ولكنه لا يعنيك أنت في شيء.

ولكن بوب استمر ينبح ويشب على قائمتيه.

وفتح شارل الدرج الثاني، وفي أحد أركانه وجد الكرة الصغيرة التي اعتاد بوب أن يلعب بها.

وتناولها شارل وهو يقول:

- آه.. إذن فهذا هو ما كنت تبحث عنه.

وألقي بالكرة إلى الكلب، فتلقفها بين أسنانه وأسرع إلى الخارج، وإن هي إلا لحظات حتي تردد صوتها وهي تنتقل من درجة فوق السلم.

ومضي شارل إلى الحديقة يتمشي قليلاً إذ كان الجو لطيفاً رائعاً.

وفي الحديقة كانت مس اراندل جالسة على أحد المقاعد والدكتور تانوا بجانبها يفيض في الحديث عن التعليم في المدارس الإنجليزية، ويبدي أسفه لأن حالته المالية لا تتيح له أن يلحق أولاده بهذه المدارس لارتفاع أجورها.

وانضم إليهما شارل وساهم في الحديث، ولكنه ما لبث أن حول تياره إلى ناحية أخري، وقد أدرك ما يرمي إليه الدكتور تانوا الماكر الخبيث بطرق هذا الموضوع، وكانت اميلي اراندل تبتسم راضية مستمتعة بهذه المناورات التي تجري أمامها.

وقدم الدكتور دونالدسون بعد ظهر اليوم يدعو تيريزا إلى نزهة بسيارته الصغيرة، ومضي بها إلى غابة تقع في أطراف القرية، ثم زايلا السيارة وأخذا يتجولان في أرجاء الغابة.

ولم يكن الحديث الذي دار بين هذين العاشقين غرامياً وإنما كان حديثاً علمياً بحتاً، فقد أخذ ريكس يفيض في الكلام عن أبحاثه وتجاربه، وتيريزا لا تفتأ تعقب بكلمات الإعجاب والتقدير محاولة أن تملأ حبيبها زهوا واختيالاً.

وقال لها دونالدسون فجأة:

- آسف جدا يا تيريزا.. أحسبني أضجرتك بهذا الحديث العلمي.

فقالت وقد شملت وجهها ابتسامة عريضة فاتنة:

- بل إنك سحرتني يا ريكس.. فقد أدركت الآن أنك عالم ضليع وأنك في سبيلك إلى المجد والشهرة.

ومضت تنصت في لهفة واهتمام إلى ما يسرد عليها من أبحاثه وتجاربه.

وكان أصدقاء تيريزا في عجب من أمرها، فهذه الفتاة الماجنة العابثة التي تقضي ليلها في المجون والعربدة، كيف تطيق هذه الأحاديث العلمية الجافة، وكيف تحب رجلاً مثل ريكس لا هم له إلا البحث العلمي.

وقالت تيريزا:

- من المحزن يا ريكس أنه ليس لديك مال يعينك على الاستمرار في أبحاثك.

ثم أردفت وهي تند عن صدرها تنهيدة عميقة:

- آه..! لو أن العمة اميلي ماتت لآلت إليّ منها ثروة كبيرة، ولبادرت إلى الزواج منك في الحال، ولوضعت ثروتي كلها رهن أبحاثك وتجاربك.. إنك رجل عبقري وافتقارك إلى المال هو العقبة الوحيدة التي تسد أمامك الطريق إلى المجد.

وعقب الدكتور دونالدسون:

- إن عمتك يمكن أن تعيش عشرات الأعوام ما دامت تعني بنفسها.

فتنهدت تيريزا مرة أخري وغمغمت:

- أعرف هذا.. وذلك هو الشيء الذي يؤسف له.

وفي الوقت الذي كان فيه هذا الحديث يدور في الغابة بين تيريزا وخطيبها ريكس

دونالدسون كان ثمة حديث آخر بين الدكتور تانوا وزوجته بيلا وهي في مخدعها.

قال لها:

- لقد مهدت أمامك الطريق، والآن حان دورك أنت.

وحدثها عما دار بينه وبين اميلي بشأن التعليم في المدارس الإنجليزية، وكيف أن دخله المحدود لا يتيح له أن يهيىء لأولاده هذه الميزة.

وأجابت بيلا: ولم فعلت هذا؟ إنني لا أميل إلى أن أطلب من خالتي شيئاً من المال.

- ولم لا؟ إنها واسعة الثراء، ويمكنها أن تسخو حين تشاء.. ألسنا لهذا جئنا نزورها؟

فتطلعت إليه بيلا في دهشة وقالت:

- لم يجر هذا في خاطري أبداً.. إنني انما جئت أزورها لأنني أحبها، ولأنها وحيدة في حاجة إلى من يؤنس وحدتها في عيد الفصح.

ومال إليها تانوا يقبلها وهو يقول:

- وهل نسيت يا بيلا أنه يجب أن نهيىء لأولادنا حياة مترفة؟

- ولكنني أكره أن اسألها شيئاً.

وظلت بيلا تعترض وتبدي تمنعاً وتانوا يلاطفها ويحاول ان يستميلها إلى رأيه.

وأخيراً قالت في استسلام:

- حسناً.. سأحاول أن اسألها منحة صغيرة.

ولكنها تفوهت بهذه الكلمات على مضض وكره.

***

الشيخوخة

كان ذلك بعد ظهيرة يوم الثلاثاء.
كان الباب الخلفي للبيت مفتوحاً، ومس اراندل واقفة بعتبته تلاعب كلبها، فتقذف بالكرة إلى الحديقة فينطلق وراءها.

وقالت مس اراندل تخاطب كلبها الحبيب:
- مرة واحدة فقط يا بوب ثم انصرف إلى شأني.
ورمت بالكرة إلى بعيد، ووثب بوب وراءها كي يستعيدها.
وانحنت مس اراندل والتقطت الكرة من عند قدميها حيث جاء بها بوب ووضعها، ثم دخلت إلى الدار، وبوب يجري في أعقابها، ودخلت إلى غرفة المكتب، فوضعت الكرة في أحد الادراج، وردته مكانه، وبوب يتطلع إليها في أسي، إذ حرم من لعبته الأثيرة.
وتطلعت مس اراندل إلى الساعة فألفتها تشير إلى السادسة والنصف، فقالت:
- والآن لابد أن تستريح يا عزيزي بوب قبل أن نتناول العشاء.
وصعدت إلى مخدعها، وبوب وراءها، وارتمت متهالكة على الاريكة، وبوب عند قدميها.
وتنهدت مس اراندل في ارتياح ظاهر، فاليوم هو الثلاثاء، وغدا يرحل ضيوفها جميعاً وتستريح، ولم تملك إلا أن قالت:
- لقد بدأت الشيخوخة تدب إليّ، فلم أعد آنس بالصحبة، وأصبح صدري يضيق بالناس وثرثرتهم.
وأطبقت عينيها وهي راقدة مكانها غارقة في خواطرها، وبعد نصف ساعة

جاءت إليها خادمتها ايلين تحمل إليها إبريقاً من الماء الساخن، فنهضت وغسلت يديها ووجها، وتهيأت للعشاء.

وكان دكتور دونالدسون مدعوا إلى تناول العشاء معهم في تلك الليلة، ورحبت اميلي بلقائه، فقد كانت تريد أن تدرسه عن كثب، فقد بدا لها غريباً أن تتزوج تيريزا اللعوب الطائشة بهذا الطبيب الجامد المتحفظ الذي لا يعرف إلا القوارير وأنابيب الاختبار وأرانب التجارب.

ومع ذلك فقد أخذت السهرة تنصرم وهي لاتزال في جهالة عن شخصيته، لا تكاد تدرك شيئاً من بواطن نفسه، فقد لبث طوال الوقت ذلك الشاب الثقيل الظل الذي لا يتكلم إلا نادراً.

واقتضب الدكتور دونالدسون سهرته، ففي تمام العاشرة نهض يستأذن في الانصراف.

وفي أعقابه نهضت اميلي اراندل نفسها، وقالت: إنها متعبة تريد أن تأوي إلى فراشها، وصعدت إلى مخدعها، وانفرط عقد أقاربها، وانسحبوا جميعاً إلى غرفهم، أما مس لاوسون فبقيت في الطابق الأرضي تؤدي واجباتها المنزلية، فاطفأت نيران المدفأة، وتركت بوب يغادر البيت ليقوم بنزهته الليلية.

ثم صعدت بعد خمس دقائق إلى مخدع مخدومتها، وقالت لها في حماس:

- لقد فعلت كل ما هو مطلوب مني، وقد جئتك بكتاب تتسلين بقراءته إذا جافاك النوم.

وأخذت تفرد الغطاء على السرير، وتعد قربة الماء الساخن لتدفئة قدمي مخدومتها وهي تردد:

- لم أجد في المكتبة الكتب التي طلبتها، ولكنني اعتقد أن هذا الكتاب سيروق لك.

وردت اميلي اراندل بقولها في خشونة:

- إن هذه البائعة جاهلة حمقاء لا تعرف ما لديها من كتب.

ثم سألتها:

- أرجو أن تكوني قد استمتعت بإجازتك مساء اليوم؟

فأشرق وجه مس لاوسون وأجابت في انفعال:

- آه.. شكراً لك.. لقد استمتعت بها استمتاعاً طيباً.. لقد أمضينا السهرة نستحضر الأرواح، وقد تلقينا منها رسالات طريفة.. إن جوليا تريب وسيطة بارعة شفافة النفس.. نعم.. تلقينا رسالات عديدة من اولئك الذين سبقونا إلى العالم الآخر.. الحق أنني مندهشة لهذه الصلة الوثيقة القائمة بيننا وبين عالم الأرواح.

ولاحت ابتسامة خفيفة على شفتي مس اراندل وقالت:

- إياك أن يسمعك القس وإلا لامك على إيمانك بهذه الترهات.

فاجابت وصيفتها في حماس وانفعال:

- ولكن الواقع يا مس اراندل أنني مؤمنة ايماناً عظيماً باستحضار الأرواح.. أنها حقيقة واقعة لاشك فيها، ولا يمكن أن تكون خدعة أو تمويها، ولكم اتمني لو أن مستر لونسديل أولي الأمر عنايته وفحصه في إنصاف.. ان من الحماقة أن يحكم المرء على أي شيء مسبقاً دون أن يستوثق من حقيقته.. نعم.. إن جوليا تريب وايزابيل تريب وسيطتان قديرتان.

فقالت مس اراندل ضاحكة في مرح:

- أولي بهما إذن أن تتركا هذه الدنيا وأن تنتقلا إلى العالم الآخر حيث تعيشان في عالم الأرواح.

فقد كانت اميلي اراندل لا تحفل بهاتين الوسيطتين، وكانت تزدريهما، وتسخر من حياتهما النباتية إذ كانتا لا تأكلان اللحم، وإنما تعيشان على الخضر والفواكه، ولا تلبسان إلا ثيابا زرية.

نعم.. إن جوليا وايزابيل في رأيها امرأتان تافهتان، وضيعتا المنبت، لم تتلقيا إلا قسطاً ضئيلاً من التعليم، وإن كانتا طيبتا السيرة لا تعرفان اللؤم والخبث، ولهما طوية سليمة.

ولعل هذه الطوية السليمة هي التي جعلت ميني لاوسون المسكينة تهيم بالمرأتين حباً.

وجعلت ميني لاوسون تدور بأرجاء المخدع، ترتب هذا وتنسق ذاك، وقد تضرج وجهها انفعالاً.

وأخيراً قالت في كلمات متلعثمة مترجرجة:

- وددت يا مس اراندل لو أنك كنت معنا الليلة..! لقد خاطبتنا الأرواح وتلقينا منها العديد من الرسائل.. رسائل مدهشة.. تصوري.. لقد كتبت الأرواح هذين الحرفين بوضوح تام.. حرفا (ا. أ).. ولقد رأته ايزابيل أمامها واضحاً جلياً.. نعم.. أن الأرواح تتجسد أمام ايزابيل.. إنه لابد أن يكون ذلك العزيز الغالي (الجنرال اراندل).. إنها رسالة رائعة مملوءة بالحب والحنان.

فقالت مس اراندل:

- هذا عجيب، فإن أبي طوال حياته كان صارماً لا يعرف الحب والحنان.. لقد كان دائماً جاف الطباع.

فهتفت ميني في إيمان واقتناع:

- ولكن أعزاءنا يتغيرون في العالم الآخر.. هناك لا يعرفون إلا العطف والحب والرقة والحنان، وبعد ذلك كتب اللوح كلمة أخري، وكانت واضحة مقروءة بسهولة، وهي كلمة (مفتاح)، واعتقد أن الروح تقصد مفتاح الدولاب الفيكتوري.. فهل تعتقدين أن ذلك هو حقاً ما قصدته الروح؟

فقالت مس اراندل في صوت حاد النبرات، يوحي بما أثارته هذه الكلمة في نفسها من اهتمام:

- مفتاح الدولاب الفيكتوري؟

- نعم يا مس اراندل.. هذا هو ما خطر لي فعلاً.. ومن يدري..! لعل في هذا الدولاب أوراقاً خطيرة ذات شأن.. لقد جرت من قبل أشياء من هذا القبيل.. ألا تتذكرين أنه حدث أن عثر بعضهم في قطعة قديمة من الأثاث على وصية مخبأة؟

فقالت مس اراندل في شيء من الحنق:

- ولكننا فتشنا الدولاب الفيكتوري بدقة ولم نعثر فيه على شيء من الوصايا.. هيا اذهبي إلى فراشك يا ميني، وفي يوم من الأيام سوف ندعو الاختين

تريب إلى قضاء السهرة هنا.

- أوه..! حقاً..؟ لكم يسعدني أن نفعل هذا..! طاب مساؤك يا مس اراندل.. أتراك في حاجة إلى شيء آخر..؟ أرجو أن لا يكون وجود هذا الجمع من الضيوف قد أزعجك.. سأعهد إلى ميني غداً بأن تهوي الغرف بعد رحيلهم، وأن تنفض الستائر جيداً.. أن رائحة السجائر تعلق بالستائر وتفسد جو الغرف.. ألا ليتهم يدخنون في قاعة الاستقبال دون سواها.

فقالت اميلي اراندل ضاحكة في مرح:

- يجب أن نضحي قليلاً يا ميني وننصاع للاتجاهات العصرية.. طاب مساؤك يا ميني.

وإذ غادرت ميني الغرفة راحت اميلي اراندل تسائل نفسها عما إذا كان استحضار الأرواح خدعة متقنة أم حقيقة واقعة؟

قد يكون الأمر شاذاً، ولكن ميني تبدو مقتنعة مؤمنة.

ثم ذكرت الدولاب الفيكتوري والنعاس يغالب عينيها.

لقد بحثوا عن مفتاحه بعد موت أبيها فلم يهتدوا إليه، واضطروا أن يغتصبوا القفل، ولكن ما الذي عثروا عليه داخل الدولاب..؟ مجرد مجموعة من زجاجات الخمر الفارغة وأشياء تافهة.

ولكن أني لمس لاوسون والأختين تريب أن يعرفن أن مفتاح هذا الدولاب كان قد اختفي وأن أحداً لم يعثر عليه حتي اليوم..؟ إن مس لاوسون لم تكن في خدمتها في تلك الأيام، ومن المستحيل أن تعرف شيئاً عن المفتاح الضائع.

إذن فلابد أن استحضار الأرواح مسألة حقيقية، وأن هذه الأرواح يمكن أن تعرف شيئاً.

وحاولت أن تغفو وأن تستغرق في النوم، بيد أن الكري جفاها وأبي أن يستجيب.

ولعنت في سرها طبيبها الأحمق هذا الدكتور جرينجر الذي لا يفتأ ينصحها بأن تتناول حبوباً منومة إذا استبد بها الأرق.

إن الحبوب المنومة لمن الأشياء التي بسببها انهارت أعصابهم، أما هي فما

تزال امرأة شديدة قوية البنية، ومازالت أعصابها قوية وبخير.

وكان من عادتها إذا أبت عيناها أن تغمضا أن تزايل فراشها في جوف الليل، وأن تنزل إلي الطابق الأسفل، فتنسق الكتب في المكتبة، أو ترتب الزهور، أو تحرر خطاباً أو خطابين.. المهم أنه كان من عادتها أن تشغل نفسها بأي شيء حتي يدب النعاس إلى عينيها، فترتد راجعة إلى فراشها، فذلك أجدي ألف مرة من تناول الحبوب المنومة.

ومع ذلك فقد كانت لا ترتاح إلى هذه الجولات الليلية، إذ كان يخيل إليها أن هذا البيت الفسيح مليء بالأشباح، وأنها حيث تسير تتناهي إلى سمعها أصوات صادرة من الحديقة، شبيهة بعويل الموتي.

إنها دون شك أشباح أخواتها ازابيلا وماتيلدا وأنييس، وشبح أخيها توماس.

إنها تتخيل شبح توماس ماثلاً أمام عينيها كما كان قبل أن تستحوذ عليه هذه المرأة وتوقعه في براثنها.

بل إنها لتستطيع أيضاً أن تلمح شبح الجنرال جون لافيرتون اراندل ذلك الطاغية الجبارِ الذي كان لا يفتأ ليل نهار يزمجر ويعنف بناته بقسوة وبلا رحمة، وإن كن جميعاً يفخرون به وبتاريخه المجيد في بلاد الهند، حيث أخمد الكثير من ثورات الهنود، وعرف كيف يخضعهم لسطوة الإنجليز.

ثم ارتدت خواطرها إلى خطيب ابنة اخيها.. إنه شاب لا يقرب الخمر، في حين أن خطيبته لا تكاد ترفع الكأس عن شفتيها، فكيف قام الحب بينهما، وكل منهما على نقيض الآخر طباعاً وسلوكاً؟

أما شارل فهو كأخته يعب الخمر عبا، ويمكن بكل سهولة أن يحتسي زجاجة كاملة خلال ساعة واحدة.

إن شارل شاب ظريف حلو الحديث طيب المعشر، ولكنه بكل أسف شخص لا يمكن الركون إليه أو الاعتماد عليه.

واستندت على مرفقيها في الفراش، وحاولت أن تطرد من ذهنها هذه الخواطر المشتتة التي تتدفق على رأسها.

ولكن ذهبت جهودها عبثاً على غير جدوي، فمازال النوم يجافيها، والآن.. ها هي الساعة تدق الواحدة بعد منتصف الليل، ومع ذلك فمازال النوم بعيداً عن عينيها.

وزايلت الفراش، وانتعلت خفها، والقت بالروب على كتفيها، وقررت أن تهبط إلى الطابق السفلي لتشغل نفسها بأي شيء، كأن تنسق الزهور أو ترتب الكتب، كما كانت عادتها كل ليلة.

وانسلت من الغرفة على مهل، ووقفت على البسطة العليا للدرج، وكان الضوء صادراً من اللمبة الضعيفة (السهاري).

ثم مدت يدها واستندت على سياج السلم، ثم أخذت تخطوها هابطة إلى أسفل.

وعلي حين فجأة تعثرت في شيء ما، وعجزت عن أن تحفظ توازنها، فوقعت على الأرض، وبدأت تتدحرج على الدرجات إلى أسفل.

ودوت سقطتها في جوف الليل الساكن، وترددت صرختها في أرجاء البيت، فأيقظت النيام من نعاسهم.

فتحت الأبواب، وأضيئت الأنوار، وبرز أهل البيت من غرفهم، وهرعوا جميعاً من مخادعهم إلى رأس السلم يتبينون ما حدث.

كانت مس لاوسون أول من غادر غرفته، وأطلقت صرخة ارتياع، وهرعت تهبط الدرج.

وعلي الأثر خرج الآخرون من مخادعهم تباعاً، وتجمعوا عند البسطة العليا للسلم.

كان شارل يتثاءب في كسل وهو مرتد الروب المنزلي، أما تيريزا فكانت في قميص نومها الأحمر الشفاف.. وبدت بيلا في روب أزرق اللون، وشعرها معقوص بالمشابك.

كانت اميلي ارانديل مكومة في أسفل السلم، زائغة البصر مشدوهة الذهن، توشك أن تفقد وعيها.

لقد أصيب كتفها وكاحلها، وكان جسمها كله ينبض بالألم، وهي تتأوه وترسل أنات خافتة متوجعة.

وكانت واعية لما حولها.. واعية للقوم الملتفين حولها، المنحنيين فوقها.
فهذه هي الحمقاء لاوسون تصرخ وتبكي، وتلوح بيديها في حركات هستيرية لا معني لها، وهذه هي تيريزا تتطلع إليها بعينين مفغورتين فزعتين، أما بيلا فكانت واقفة على قيد خطوات وقد فغرت فمها كالبلهاء، أما شارل فلم تره بجانبها، ولكنها سمعت صوته وهو يأتي من بعيد قائلاً:
- إنها كرة هذا الكلب الملعون..! لابد أنها داست على كرة بوب فاختل توازنها.. لابد أنه تركها هنا فوق البسطة في أعلي السلم..! آه.. ها هي ذي الكرة.
ثم كانت واعية لصوت آمر واثق من نفسه يأمر من حولها بالابتعاد، ثم كانت واعية ليدين حانيتين تجسان كل موضع في بدنها، وتضغطان كل عظمة في جسمها، ثم سمعت صوته.. صوت الدكتور تانوا وهو يقول:
- اطمئنوا..! إنها بخير.. إنها لم تصب بأي كسر.. إن العظام سليمة.. وكل ما هنالك مجرد خدوش ورضوض.. طبعاً أن الصدمة النفسية شديدة، ولكنها لحسن الحظ لم تصب بأي كسر.
ثم كانت واعية لما حدث بعد ذلك.
انحني الدكتور تانوا فوقها، وحملها على كتفيه في سهولة ودون مشقة كما يحمل الإنسان طفلاً صغيراً، وارتقي بها الدرج إلى مخدعها، ثم أرقدها على فراشها، وامسك برسغها يجس نبضها، ثم أومأ برأسه في رضاء وارتياح، وبعث بميني لاوسون التي كانت لاتزال تبكي لتأتيه بقدح من البراندي وقربة من الماء الساخن.
وكانت اميلي لاتزال مصدومة ومتوجعة، ولكنها أحست بالامتنان نحو الدكتور جيكوب تانوا، وخامرها الارتياح لوثوقها أنها بين أيد أمينة حاذقة تعرف واجبها.
لقد بعث تانوا في نفسها شعوراً بالاطمئنان.
ومع ذلك فقد كان هناك شيء غامض يدور في أعماق نفسها.. شيء خفي لا تدري كنهه وحقيقته، شيء يملأ طوايا وعيها.
بيد أنها في هذه اللحظة كانت عاجزة عن أن تحدد هذا الشيء، أو تتبين حقيقته.
كان عليها أن تجرع كأس البراندي وأن تخلد إلى النوم كما أمرها الدكتور تانوا.

وأطبقت عينيها، وراودها النعاس وهي تسمع الدكتور تانوا يقول:
- إنها بخير ولا تلبث أن تشفي، وسوف تصحو على أحسن حال.
أفاقت اميلي اراندل على صوت تعرفه.. صوت رقيق حنون خافت.
إنه نباح كلبها الحبيب بوب.
وفغرت عينيها في لحظة خاطفة.
كان بوب ينبح في الحديقة خارج البيت..! إذن فقد أمضي الشقي ليلته خارج الدار.
وأرهفت مس اراندل أذنيها.. وتناهت إليها خطوات ميني وهي تهرع إلى الكلب، ثم سمعت صرير الباب وهو يفتح، ثم صريره وهو يغلق، كما سمعت همهمة ميني في صوت خافت وهي تلوم الكلب وتؤنبه:
- آه.. أهذا أنت أيها الشقي الصغير..!
وفي تلك اللحظة ادركت اميلي اراندل حقيقة ذلك الشيء الغامض الخفي الذي كان يدور في طوايا نفسها.
عندما سقطت على السلم، وتكومت عند أسفله، هرع إليها الجميع، والتفوا حولها - فيما عدا بوب..!
- لو أنه كان موجوداً داخل الدار لكان هو أول من هرع إليها، خاصة أن بيته عند أسفل الدرج تحت باكية السلم.
نعم.. كان هذا هو ما فكرت فيه اميلي عقب وقوع الحادث.. كان هذا هو ما يشغل عقلها الباطن.
ولكن لا.. لم يكن هذا وحده هو ما كان يشغلها، بل كان هناك شيء آخر يتعلق بالحادث نفسه - فما يكون هذا الشيء يا تري..؟
آه.. لقد بدأت الأمور تنجلي الآن، وأخذ ذهنها يصفو.
حين كانت مكومة بأسفل الدرج جاءها صوت شارل وهو واقف عند رأس الدرج يقول إن عمته تعثرت في كرة بوب فاختل توازنها، ثم سمعته وهو يقول: (آه.. ها هي ذي الكرة)، إذ يبدو أنه التقطها من على الأرض فوق البسطة

العليا.. ولعلها لمحته أيضاً ممسكاً بالكرة.

وأحست اميلي اراندل برأسها يكاد يتحطم، وأحست بأوجاع كتفها وكاحلها تفري جسدها.

بيد أنها رغم هذه الأوجاع كانت صافية الذهن.. لم يكن رأسها مشوشاً مرتبكاً، وإنما كانت تفكر في هدوء تفكيراً منطقياً واضحاً.

استرجعت إلى ذهنها جميع الوقائع التي مرت بها منذ الساعة السادسة مساء.

في تلك الساعة كانت واقفة على باب البيت تلاعب كلبها.. كانت تطوح بالكرة إلى الحديقة فيلتقطها بوب، ويعود بها إليها.

ثم أخذت الكرة واغلقت الباب، ودخل بوب وراءها.

ثم مضت إلى غرفة الاستقبال وأودعت الكرة درج المكتب، وبعد ذلك صعدت إلى غرفتها لتستجم قليلاً، ثم هبطت لتناول العشاء.

وأوت إلى مخدعها مرة أخري، وجافاها النوم، وأرادت في منتصف الليل أن تهبط إلى الطابق الأسفل لتشغل نفسها بأي شيء، لعل النوم يوافيها.

ها هي ذي واقفة على البسطة عند رأس الدرج.. وها هي تخطو إلى الأمام لتهبط السلم.

ودب الفزع في قلبها، واحتوتها موجة من الرعب.

كلا.. لابد إنها مخطئة.. لابد أنها تتوهم أشياء لا وجود لها.

ولكن لا.. لا.. أنها واثقة مما حدث.. إنها لم تطأ فوق كرة بوب، فلم تكن هناك كرة على الاطلاق.. أنها لم تشعر بشيء متكور مستدير تحت قدمها.

ولكنها تعثرت في شيء آخر.

وطردت الفكرة من رأسها.. فقد كانت فكرة رهيبة مخيفة، وتمنت لو أنها كانت واهمة.



أثر الصدمة

كان ذلك في يوم الجمعة وقد رحل الأقارب جميعاً وعادوا إلي بيوتهم.
لقد عرضوا جميعاً دون استثناء أن يبقوا إلي جانب مس اراندل حتي يتم شفاؤها.. ولكنها رفضت عرضهم وشكرتهم، وقالت في وضوح وإصرار إنها تفضل أن تظل وحدها، لأنها في حاجة إلي الهدوء.

وهكذا رحلوا جميعاً يوم الأربعاء كما كان مقرراً من قبل.

وخلال اليومين اللذين انقضيا منذ رحيلهم كانت مس اراندل غارقة في خواطرها بشكل شاذ، حتي أنها في بعض الأحيان لم تكن تسمع أو تعي ما تقوله لها مس لاوسون.

كانت تحملق فيها في شرود، ثم تسألها أن تعيد على مسامعها مرة أخري ما كانت تقوله.

وكانت مس لاوسون لا تفتأ تردد في اشفاق:

- هذا من أثر الصدمة دون شك.

أما الدكتور جرينجر فكان من ناحيته لا يفتأ يحاول أن يبعث الاطمئنان في نفسها، فقد أكد لها أنها سوف تشفي خلال أيام قليلة وتعود إلى سابق نشاطها، وكان يداعبها بقوله إن من سوء حظه أن عظامها لم تنكسر، وإلا لربح من وراء علاجها الشيء الكثير.

ولكن الآن وقد انصرف الطبيب، وخلت مس اراندل إلى نفسها مضت تفكر، وذهبت بها خواطرها إلى بعيد، مستعيدة إلى ذهنها تفاصيل الحادث، ودقائقه.

وكانت مس لاوسون تنحني على الكلب وتربت على ظهره في حنان وهي تقول:

- أيها الشقي الصغير..! ألا ليتك تعرف أنك كنت السبب في كل هذا..! لو أنك عرفت لملأ الحزن قلبك.

وترد عليها مس اراندل معترضة لائمة:

- ما هذا الذي تقولين يا مس لاوسون..؟ إنك بهذا تظلمينه.. إن كل متهم بريء حتي يقوم الدليل على ادانته.

- ولكننا جميعاً نعرف أنه ترك الكرة علي..

وقاطعتها مس اراندل في حنق بقولها:

- إننا لا نعرف عن يقين شيئاً على الإطلاق، فدعي بوب وشأنه ولا ترميه بالتهم جزافاً، والآن ابعثي إلى بايلين.

وتنسحب مس لاوسون في هدوء وتتابعها مس اراندل بنظرات حانقة غضبي.

ولم تكن مس اراندل حانقة على مس لاوسون وحدها، وإنما كانت حانقة حتي على نفسها، ففي بعض الأحيان كانت لا تطمئن إلى سلامة تفكيرها، وكانت تشك أحياناً في قوة ذاكرتها.

وتعود مس لاوسون إلى الغرفة متسللة على أطراف أصابعها، فتصيح بها مس اراندل في غضب:

- إنك تزعجينني بهذا المشي على أطراف الأصابع.

وفعلاً أزعجتها مس لاوسون وانتزعتها من خواطرها المتدافعة المتضاربة التي تدور برأسها كالدوامة العنيفة.

وقالت مس اراندل في صوت خافت:

- ماري فوكس.. نعم.. ماري فوكس.

وتساءلت مس لاوسون:

- ماذا تقولين..؟

- هل أصبحت حمقاء لا تسمعين..؟ كنت أقول: ماري فوكس.. والآن آتيني

بدفتر التليفون.

وانكبت على الدفتر تبحث عن رقم معين، وفجأة رفعت رأسها وقالت على غير انتظار:

- الحق يا ميني أنك امرأة مخلصة متفانية.. والآن غادري الغرفة ودعيني وحدي.

وإذ خلت إلى نفسها غادرت الفراش، وجلست إلى المنضدة، وحررت خطاباً ذيلته بتوقيعها، ثم أودعته مظروفاً وأغلقته، ثم كتبت عليه اسم محاميها: (ويليام بيرفيس) وعنوانه، ثم تناولت رقعة أخري من الورق حررت عليها خطاباً آخر وأودعته مظروفاً وسطرت عليه اسم شخص معين وعنوان بعد أن استخرجته من دفتر التليفون وكان هذا هو اسم البوليس السري الشهير هيريكيول بوارو.

وجاءت نقرات على الباب، فأسرعت مس اراندل تدس خطاب البوليس السري تحت المسند الجلدي الموضوع فوق المنضدة، فقد كانت تعرف أن ميني امرأة فضولية تحشر أنفها في كل شيء.

ثم أسرعت إلى الفراش فاستلقت عليه، وردت على قرعات الباب بقولها: (ادخلي).

لقد كانت مس اراندل حريصة على أن لا يستتشف أحد سرها الخفي.



الوقـــائـــع

لم أعرف الوقائع التي سردتها من قبل إلا بعد أن أتم هير كيول بوارو استجواب العديد من الناس، ولكنني نسقتها ورتبتها حتي تكون الأحـداث متسلسلة متماسكة.

وقد تورط هير كول بوارو - وأنا معه - في هذه الأحداث بعد أن تلقي خطاباً من مس ارندل.

وإني لأذكر هذا اليوم بتفاصيله ودقائقه.

كان بوارو جالساً إلى مكتبه يفض كومة الرسائل الواردة إليه في ذلك اليوم، وهو يحتسي قدحاً من الشكولاتة المثلجة إذ كان الجو قائظاً شديد الحرارة.

وبين الرسائل الواردة إليه كان هناك خطاب من مس ارندل.

ورأيته يقرأ الخطاب مرتين في تمهل وإمعان، ويقلب المظروف بين يديه يفحصه في عناية.

فقلت:

- بوارو.. إن لهذا الخطاب الذي بين يديك أهمية خاصة.

فابتسم بوارو وتطلع إليّ برهة ثم قال ساخراً:

- أصبت.. إنك فيما يبدو شرلوك هولمز العصر الحديث.

ثم دفع إليّ بالخطاب وهو يقول:

- هاك الخطاب فاقرأه.

فقلت معترضاً:

- وما الذي يدعوني إليّ قراءته؟ حسبي أن تفضي إلى أنت بالمعضلة التي تضمنها الخطاب.

- ولكن الخطاب خلو من أية معضلة.

وتناولت منه الخطاب ومضيت أتلوه، وكان هذا نصه:

عزيزي ميسو هيركيول بوارو:

(بعد الكثير من التردد والإحجام رأيت أن أبعث إليك بهذا الخطاب راجية أن تمد يد العون في مسألة على أقصي درجات السرية.. إنني لا أجهل شهرتك العريضة فقد حدثتني عنك صديقتي مس فوكس من مدينة اكستر وأطنبت في امتداحك، وإن كانت مس فوكس نفسها لا تعرفك شخصياً ولم تتصل بك من قبل، وإنما سمعت عنك من زوجة أخيها التي لا أستطيع بكل أسف أن أذكر اسمها).

(إنني في دوامة مزعجة، وقد خطر لي أنك يمكن أن تقوم ببعض التحريات لحسابي، ولكن الأمر كما سبق أن أشرت يجب أن يحاط بالسرية التامة، فقد يكون الأمر كله مجرد وهم كاذب لا أساس له، فإن المرء في بعض الأحيان يفسر أمراً من الأمور بطريقة تتسم بسوء الظن).

وتابعت قراءة الصفحة التالية من الخطاب، وكان هذا نصها:

(إنني أشعر بقلق شديد إزاء الأحداث التي مرت بي، ولعلك تدرك بجلاء أنني لا أستطيع أن أفضي بما في نفسي إلى أحد في ماركيت بيسنج، فقد يشاع الأمر ويذاع، ثم يتبين أنه مجرد هواجس كاذبة، ولا أكتمك أنني خلال الأيام القليلة الماضية لمت نفسي كثيراً على هذه الوساوس التي تدور في ذهني، وخشيت أن أكون مبالغة في أوهامي وهواجسي، ولكنني لا البث أن أعود فأقول في نفسي إنني محقة في كل ما يخطر ببالي، وأنني على صواب فيما دار بخلدي).

(وأحب أن أذكر لك أيضاً أن لا أحد هنا يعرف شيئاً عما أفكر فيه، فقد كتمت الأمر عن الناس جميعاً، لأنني لا أستطيع أن احدثهم عن شيء تافه مثل كرة الكلب).

(ولكن رغم تفاهة الموضوع فإنني مازلت أعلق أهمية كبري على ما حدث).
(تري هل أنا على حق فيما يدور بذهني، أم أنني امرأة عجوز مخرفة غلبت الوساوس على تفكيرها..؟ أتراني مخرفة أعلق الكثير على حادث الكلب في الليلة الماضية).
(أرجوك أن تخطرني بالأجر الذي سوف تقدره لنفسك للقيام بالتحريات التي أريدها).
(وإني في انتظار رأيك ومشورتك - أميلي اراندل).
قلبت الخطاب في يدي وتساءلت:
- إن الخطاب غامض والمعضلة غير مفهومة.
- لا شيء فيه إلا الإشارة إلى كرة الكلب.
- وهي اشارة لا تعني شيئاً على الاطلاق.
ثم أردفت: لو أنني مكانك يا بوارو لألقيت بالخطاب في سلة المهملات.
فضحك بوارو وقال: هذا ما أتوقعه منك، فإن خلايا مخك يا هاستنج لاتزال فجة غير ناضجة.
فقلت متسائلاً: أتعني أنك فهمت من الخطاب شيئاً لم أفهمه أنا..؟ إنه دون شك خطاب لا يثير الاهتمام.
- ومع ذلك فإن فيه نقطة أثارت اهتمامي منذ الوهلة الأولي.
فهتفت: لحظة واحدة.. دعني أفكر في الأمر فقد اهتدي إلى هذه النقطة.
وجعلت أقلب عيني في الخطاب مرة أخري، ثم هززت رأسي في أسف وأنا أقول:
- لا شيء..! لا شيء فيه على الإطلاق يلفت النظر.. إنها امرأة معتوهة مولعة بالثرثرة، ورأسها مكتظ بالهواجس.
فقال بوارو: مازلت أؤكد لك يا هاستنج أن في هذا الخطاب شيئاً مهماً فاتك أن تفطن إليه.
- أتعني قولها: (كرة الكلب) أو عبارتها الأخري عن (حادث الكلب في

الليلة الماضية)..؟

فأجاب بوارو:

- لا هذا ولا ذاك.

- لقد حيرتني.. حدثني إذن يا صديقي بما يدور في نفسك.

- إنني أعني (التاريخ).. تاريخ الخطاب.

- عجباً..! وأي شيء في التاريخ أثار اهتمامك..؟

وتناولت الخطاب مرة أخري وتصفحته.. كان مؤرخاً في يوم ١٧ أبريل، فقلت:

- هذا عجيب حقاً.. أنه مؤرخ ١٧ أبريل.

فقال بوارو:

- تماماً.. واليوم ٢٨ يونيه.

فقلت:

- هذا صحيح، أي أنه انقضي ما يربو على شهرين منذ كتابة الخطاب حتي تسلمته.

- أفلا تري الأمر غريبا..؟

فهززت رأسي في شك وارتياب وأنا أقول:

- لا أدري.. ربما كان الأمر مجرد غلطة.. لعلها ارادت أن تؤرخه في شهر يونيه، فاخطأت وكتبت شهر أبريل بدلاً من الشهر المقصود.

- هذا معناه أن رحلة الخطاب إلينا استغرقت أحد عشر يوماً، وليس هذا بالأمر المألوف.

ثم أردف في إيمان ويقين:

- كلا يا صديقي.. لقد كتب الخطاب فعلاً يوم ١٧ أبريل ولكنه لم يودع البريد إلا بعد انقضاء ما يربو على شهرين، فلماذا..؟ ما السبب..؟ ما السر في هذه المهلة..؟

- لم لا تكون هذه العجوز الخرقاء قد غيرت رأيها فعدلت عن إرسال الخطاب، ثم عادت فقررت أن تبعث به إليك.

- إذن لماذا لم تغير التاريخ..؟

- مجرد إهمال منها.

- كلا يا صديقي. لابد أن الأمر ينطوي على سر يا عزيزي هاستنج.

وتناول بوارو رقعة من الورق، وجلس إلى مكتبه ومضي يحرر رداً على الخطاب. وانقضت بضع دقائق، والسكون يسود الغرفة فيما عدا صرير القلم على الورق. وأخيراً اعتدل في مقعده، وتناول الرد الذي سطره، فمزقه وقذف إلى سلة المهملات. وقلت أسأله:

- أقررت أن تغفل الرد على الخطاب..؟

فأجاب:

- يمكنك أن تقول هذا يا صديقي.

- إذن فأنت تشاطرني الرأي في أن خطابها تافه لا يستحق الاهتمام.

- لست من رأيك هذا يا عزيزي.. وإذا كنت قد أغفلت الرد على خطاب مس اراندل فلأن رأيي قد استقر على خطة أخري.

- حقا..؟ وما عساها تكون هذه الخطة الأخري..؟

- سنسافر اليوم إلى ماركيت بيسنج لنستفسر عن حقيقة ما حدث.

فهتفت: - يا إلهي..! أتنوي حقا أن تسافر..؟

- وفي الحال يا عزيزي.

حديث تليفوني

استغرقت رحلتنا إلي ماركيت بيسنج قرابة ساعة ونصف الساعة، فبلغناها وقد شارف الوقت على الظهر.

وفي منتصف القرية كان هناك ميدان كبير خصصت فيه ساحة في أحد الأركان لانتظار السيارات، فأوقفت فيها سيارتنا الأوستن.

وتقدم بوارو من أحد المارة وسأله:

- إنني غريب عن هذه المنطقة فهل لك أن ترشدني إلى فيللا (ليتل جرين)..؟

وأجاب الرجل:

- فيللا (ليتل جرين).. انك لا تستطيع أن تضل عنها.. سر في الشارع الرئيسي، وبعد البنك مباشرة ستجد الفيللا المنشودة.. أول بيت كبير إلى يسارك.

واهتدينا إلى الفيللا بغير عناء.

وحين اقتربنا منها كانت هناك مفاجأة في انتظارنا.

لقد تناهي إلى أسماعنا نباح كلب ينبعث من وراء أسوار الفيللا، وكانت الشجيرات القائمة وراء السور قليلة غير متكاثفة، فاستطعنا أن نري الكلب بوضوح.

كان كلباً صغيراً من نوع الفوكس تيريار، وما أن رآنا حتي أبرز رأسه من خلال القضبان، وهو مازال يرسل نباحه المتواصل، فمددت يدي أربت على رأسه مداعباً، وأنا ألاطفه ببعض الكلمات.

وغمغم بوارو:

- أتذكر ما جاء في الخطاب..؟ (حادث كرة الكلب).. وها نحن قد عثرنا على الكلب على الأقل، وأن كنا لانزال نفتقد الكرة.

وجعل الكلب ينبح في هدوء وقد طابت له ملاطفتي.

وكانت المفاجأة الثانية أن رأينا بباب الفيللا لوحة عليها هذه الكلمات:

(للإيجار أو للبيع - اتصلوا بمكتب السماسرة) (جابلر واسترتشار).
وكان مكتب جابلر واسترتشار في ميدان القرية، فلم نتردد في الاتجاه إليه.
واستقبلتنا فتاة كانت منهمكة في حديث تليفوني، فأشارت إلى أحد المقاعد وقد قطبت جبينها، فاستوينا جالسين.
واستطردت الفتاة في حديثها التليفوني قائلة:
- كلا.. إنني لا أعرف قيمة الإيجار.. نعم.. أنه متصل بشبكة المجاري.. طبعاً سأستفسر منه واتصل بك.. ما هو رقم تليفونك..؟ ٥٣٩٨..؟ ماذا تقول..؟ ٩٣..؟ ماذا..؟ ٥٣١٥..؟ حسنا.. لقد دونته عندي.. شكراً لك.
ووضعت السماعة مكانها، وخطت على رقعة من الورق رقم التليفون، ولكنها كتبتها (٩١٣٣).
ثم التفتت إلى بوارو بعينين مستفسرتين فقال لها:
- لقد جئت بشأن الفيللا المعروضة للبيع.. فيللا ليتل جرين.. أظن أن هذا هو اسمها.
فقالت الفتاة في شرود وتكاسل:
- ماذا تقول..؟
فعاد يردد كلماته مرة أخري:
- فيللا ليتل جرين المعروضة للبيع.
فقالت الفتاة:
- ليتل جرين..؟ أهي معروضة للبيع..؟
- هذا على الأقل ما هو مدون بالإعلان المعلق ببابها.
ثم أردف:
- لاشك أن مستر جابلر يعرف هذا، ويعرف مزيداً من التفاصيل، فهل يمكن أن أقابله..؟
فأجابت في ضيق وتبرم:

- إنه غائب الآن عن المكتب.
- أتعرفين متي سيعود..؟
- لا أدري.. أنه لم يخطرني بموعد عودته.
وكان بوارو صبورا طويل البال احتمل تبرمها بسماحة، فعاد يقول:
- إنني أريد أن أشتري بيتا في هذه القرية، فما هي معلوماتك عن فيللا ليتل جرين..؟
فنادت على زميل لها في المكتب الداخلي قائلة:
- جون.. ألديك معلومات عن ليتل جرين..؟
فأجابها صوت شاب من الغرفة المجاورة:
- كلا.. ابحثي عن الملف في الدرج ففيه طبعاً كل ما تريدين.
فقامت عن مقعدها في تراخ وكسل، وقد ازداد وجهها عبوساً، وفتحت درجاً مليئاً بالملفات وهي تردد متسائلة:
- ماذا قلت..؟ ما هو اسم الفيللا..؟
أجابها بوارو:
- هل نسيتيه بهذه السرعة..؟ ليتل جرين.
فرمته بنظرة شزراء، وبحثت في الدرج قليلاً تقلب ما به من ملفات، وأخيراً رفعت رأسها وقالت:
- آسفة.. لم أعثر على الملف.. لابد أنه في موضع آخر.
وعادت إلى مقعدها فتهالكت فوقه في إعياء، كأنما عادت لتوها من (مشوار طويل).
فقال بوارو:
- هذا شيء يؤسف له فقد كنت أنوي أن استأجرها.
- ولكن الفيللا ليست معروضة للايجار.
- هذا عجيب فالإعلان يقول: (للبيع أو للايجار).
وعند هذه النقطة من الحوار أو المعركة إن شئت فتح الباب ودخل كهل

أنيق الثياب، تأمل الحاضرين بنظرة تدل على الذكاء، وحيا بوارو وصاحبه في احترام، فقالت الفتاة:

- هذا هو مستر جابلر.. صاحب المكتب.

وقال مستر جابلر في مودة وترحاب:

- إنني في خدمتكما أيها السيدان فما الذي تريدان..؟

فأجابه بوارو: أريد بعض المعلومات عن فيللا ليتل جرين..؟

فقال: آه.. ليتل جرين..؟ يا لها من فيللا رائعة..؟

ومضي يصف الفيللا في أسلوب المحدث اللبق الخبير بوسائل الإغراء والإقناع، ويسرد تاريخها القديم، ويتحدث عن طرازها الفيكتوري الأصيل.

وإذ فرغ من محاضرته سأله بوارو:

- وهل ظلت طويلاً في أيدي أصحابها الأصليين أم تغير ملاكها..؟

- بالعكس يا سيدي.. فقد ظلت خلال أكثر من خمسين عاماً ملكاً لأسرة واحد.. أسرة اراندل.. وهي أسرة محترمة من الطراز المحافظ.

ثم التفت إلى الفتاة الكسولة وقال لها:

- مس جينكز.. عليّ بملف ليتل جرين.. وأسرعي.

وهرعت الفتاة إلى نفس الدرج الذي نقبت فيه عن الملف من قبل، ولكنها في هذه المرة عادت به خلال لحظات.

وفتح مستر جابلر الملف، واطلع بوارو على الرسم الداخلي لغرف الفيللا.

ثم ناول الملف فتاة المكتب قائلاً:

- سطري هذه المعلومات على رقعة من الورق.

وجلست مس جينكز إلى الآلة الكاتبة، وجرت أصابعها على مفاتيحها تدون المعلومات المطلوبة.

وقال له بوارو:

- أيمكن أن تعطيني تصريحاً لمشاهدتها..؟

- بكل تأكيد يا سيدي.. ما اسمك من فضلك..؟
ولشدة دهشتي أجاب بوارو قائلاً:
- إنني أدعي مستر باروتي.
- ومتي تنوي أن تذهب لزيارة الفيللا يا سيدي حتي أخطر الخدم الذين يقومون بالإشراف عليها..؟
- بعد ظهر اليوم.. في الساعة الثانية.
- حسناً.. هذا موعد ملائم.
وسأله بوارو:
- إن صاحبة الفيللا تدعي مس اراندل، أليس كذلك..؟
- كلا يا سيدي بل مس لاوسون.. هذا هو اسم المالكة الحالية، فقد ماتت مس اميلي اراندل منذ أسابيع قليلة، وأوصت بالفيللا لوصيفتها مس لاوسون التي قررت أن تبيعها.
فسأله بوارو:
- وما الذي دعاها إلى اتخاذ هذا القرار.
- إن البيت كبير عليها، فرأت أن تبيعه وأن تنتقل إلى لندن للإقامة فيها.. وهذا يتيح لك فرصة الحصول عليها بثمن بخس.. إنها فرصة لا تقدر يا سيدي ولا يصح أن تفلت منك.
وعاد بوارو يتساءل:
- أماتت مس اراندل فجأة..؟
- كلا.. كلا.. فقد كانت عجوزاً جاوزت السبعين ببضع سنوات، وقد أمضت الاعوام الثلاثة الأخيرة من حياتها تعاني الأمراض، وهي آخر أفراد أسرتها، فقد مات أخواتها الثلاثة قبلها.
وأردف مستر جابلر:
- إني موقن من أن البيت سيروق لك يا مستر باروتي، وآمل أن نلتقي مرة أخري.
وتصافحا مرة أخري، وانصرفنا لكي نشاهد فيللا ليتل جرين.

السمسار

عندما غادرنا مكتب السمسار جابلر وشركاه قلت لبوارو:

- إنه لوسيط قدير هذا السمسار جابلر.. لقد وقع في روعه أنه استطاع أن يقنعك فعلاً بشراء الفيللا.

- مسكين.. سوف يصاب حتماً بصدمة عنيفة حين لا يرى وجوهنا مرة أخرى.

وعدت أقول وشفتاي تتلمظان جوعاً:

- يحسن بنا أن نبادر إلى تناول الغداء إلا إذا كنت تنوي أن نتغذى في لندن.

فضحك بوارو قائلاً:

- وما أدراك أنني أنوي أن أعود اليوم إلى لندن؟

- يا إلهي..! لقد ماتت مس ارانديل منذ أسابيع وطويت صفحتها، فماحاجتك إلى البقاء هنا بعد ذلك..؟

فلاحت على شفتي بوارو ابتسامة غامضة وقال:

- إن موتها بالذات هو الذي يحملني على البقاء.

- ولكن ما الجدوي من بقائك وقد ماتت المرأة وأصبح مستحيلاً أن تجلو اللغز الغامض أو تمدك بشيء من المعلومات.

- وهل من الضروري أن تكون هي نفسها مصدر معلوماتي..؟ إن هيركيول بوارو يستطيع يا عزيزي هاستنج أن يحصل على ما يريد من معلومات من مصادر مختلفة.

فعدت أقول في إصرار وعناد:

- ولكن ما دامت المرأة قد ماتت..

فقاطعني بقوله:

- إني أراك يا عزيزي هاستنج شديد التشبث بواقعة موتها، فهلا خطر لك أن موتها هذا هو الذي يثير اهتمامي..؟

- ولكن موتها لم يكن فجائياً.. لقد ماتت ميتة طبيعية متوقعة.. ألم يؤكد لنا جابلر هذا..؟

- وهل نسيت أنه ذكر لنا أن فيللا ليتيل جرين معروضة بثلاثة آلاف جنيه فقط..؟ ألا يثير هذا الثمن التافه شبهاتك..؟

- لعل صاحبته تهاونت في الثمن الذي تطلبه لأن البيت يحتاج إلى نفقات جسيمة لإصلاحه.

فقال بوارو متشبثاً بنظريته المتشككة:

- أو لعل تخفيض الثمن راجع إلى سر خفي، فعلى هيركيول بوارو أن يكتشف هذا السر ويجلوه.

ومضينا إلى أحد المطاعم، وتناولنا غداء خفيفاً، ثم حمل إلينا الجرسون قدحين مملوءين بسائل أسود لا مذاق له فقال عنه إنه قهوة.

وأخذ هيركيول بوارو يتجاذب أطراف الحديث مع الجرسون، وأشار في حديثه إلى فيللا ليتل جرين، وذكر أنه يفكر في مشاهدتها وشرائها أن راقت له.

فقال الجرسون:

-إنه بيت رائع مشيد على الطراز الفيكتوري القديم.

فسأله بوارو:

-أتراه يحتاج إلى إصلاحات كثيرة..؟

- كلا.. فقد كانت مس ارآندل تبذل جهدها في صيانته، كما أنها كانت شديدة العناية بحديقته.

فقال بوارو في لهجة تنم عن الاستغراب:

- مس ارانديل..؟ ولكني فهمت أنه ملك لمن تدعي مس لاوسون.
- إنك على حق يا سيدي، فقد كانت مس لاوسون هي وصيفة مس ارانديل، وعند فض وصيتها بعد وفاتها تبين أنها تركت كل ثروتها لوصيفتها.
- هذا غريب..! إذن فلم يكن لها أقارب تورثهم تركتها..؟
فقال الجرسون:
- ليس الأمر كذلك يا سيدي، فإن لها ابن أخ وبنت أخ وبنت أختها أيضاً.
- وهل كانت هذه الفيللا هي كل ثروتها..؟
- كلا يا سيدي، فقد قيل إنها تركت في البنك مبلغاً نقدياً لا يقل عن ثلث مليون جنيه.. لقد كانت مس ارانديل ثرية ذات دخل ضخم، ولكنها لم تكن تنفق إلا القليل.
فهتف بوارو: إن ما تسرده عليّ شبيه بالقصص الخرافية.. سندريلا الحديثة.. فجأة الفت مس لاوسون نفسها صاحبة ثروة ضخمة.. أهي يا تري في شرخ الشباب..؟
- كلا يا سيدي.. إنها امرأة كهلة مشرفة على الشيخوخة.
فقال بوارو وهو يهز رأسه في أسي:
- لاشكّ أن هذه الوصية كانت صدمة شديدة الوقع على أقربائها.
- طبعاً يا سيدي.. بل كانت صدمة لأهل ماركيت بسينج جميعاً، فقد نقموا على مس ارانديل أن تتخلي عن أهلها فتترك ثروتها لامرأة غريبة لا تمت إليها بوشائج القربي، وإن كانت هناك فئة قليلة من الناس تقرها على ما فعلت، فالمال مالها وهي حرة في أن تمنحه لمن شاءت.
- وهل كانت مس ارانديل تقيم منذ أمد طويل..؟
- نعم.. كانت تعيش هنا هي واخواتها مع أبيهن الجنرال ارانديل.. إنني لم أقابله مطلقاً، ولكني أعرف أنه كان من كبار القواد في الهند، وقد اشترك في إخماد الثورة الهندية، وبعد وفاته لبثت بناته يقمن في البيت، وكانت ماتيلدا أول من وافتها المنية،

ثم لحقت بها مس أنييس ومس أرابيلا، وأخيراً توفت مس اميلي منذ بضعة أسابيع.

- إذن فقد ماتت حديثاً..؟

- نعم.. في شهر مايو فيما أذكر.. بل في شهر أبريل.

- أكانت مريضة..؟

- كلا.. فلم تكن تعاني إلا من أمراض الشيخوخة المألوفة.

- لاشك أن لديكم بعض الأطباء المهرة، فهل كانت تتردد عليهم..؟

وأجاب الجرسون:

- كان الدكتور جرينجر هو طبيبها الخاص، وقد أمضي عشرين عاماً يشرف على علاجها، وله مساعد شاب يدعي الدكتور دونالدسون.. وثمة طبيب آخر في القرية يدعي الدكتور هاردنج، ولكن حظه من العملاء محدود.

عندما هممنا بالانصراف نقد بوارو الجرسون هبة كبيرة، لا مقابل خدماته، وإنما في الواقع لقاء معلوماته.

وسأله بوارو ونحن نجتاز الطريق: والآن إلى أين تنوي..؟

فأجاب: إلى الكنيسة طبعاً.

- الكنيسة؟ اتنوي أن تصلي؟ عهدي بك لم تدخل الكنيسة منذ سنوات.

- بل سنزور المقبرة.

فتساءلت ساخراً: ألك في مثواها من يمتون إليك بصلة القربي..؟

- كلا يا صديقي، وإنما أريد أن اعرف في أي يوم ماتت مس اراندل.

وتجولنا في المقبرة حتي اهتدينا إلى قبرها.

(اميلي هارييت لافيرتون ارالندل).

(صعدت روحها إلى الملكوت الأعلي).

(في أول مايو من عام ١٩٣٦).

نباح الكلب



ما أن غادرنا كنيسة القرية حتى اتجهنا إلى فيللا ليتل جرين، ودفع هيركيول بوارو بوابة الحديقة واجتاز الممشي المرصوف بالحجارة الملونة.
وفي هذه المرة لم يستقبلنا الكلب الصغير، وإن تناهي إلينا نباحه صادراً من داخل البيت.

وضغطت جرس الباب، فما لبث أن فتحته لنا امرأة، تتراوح سنها بين الخمسين والستين وتلقتنا بقولها:

- لقد كنت في انتظاركما أيها السيدان، فقد أخطرني الوكيل بمقدمكما.

ثم دعتنا إلى الدخول، وأخذت تطوف بنا أرجاء البيت، وترينا غرفه المختلفة، وهي تردد:

- هذه هي الردهة يا سيدي، أما هذه فهي قاعة الاستقبال.. وتلك غرفة المعيشة اليومية.. إلخ.

وكانت بقاعة المعيشة لوحات مختلفة تنتظم الجدران، تمثل رجالاً ونساء، ما من شك في أنهم بعض أفراد الأسرة.

وكان نباح الكلب لايزال يتردد في أذاننا صادراً من ركن بعيد، ثم اشتد النباح علوا وضراوة، كأنما أراد أن يقول:

- ها أنذا اسمع وقع أقدام في البيت، فمن يكون هؤلاء الغرباء..؟ ومن الذي اذن لهم باقتحام حرم سيدتي..؟

ثم ظهر الكلب فجأة، وأخذ يتشمم المكان ويبصبص بذنبه.
وقالت المشرفة تخاطبه في مودة:
- ابتعد أيها الكلب الشقي.
ثم التفتت إليّ حين رأته يدور حول قدمي:
- لا تخشي منه ضراً يا سيدي فهو كلب لطيف لا يؤذي أحداً.
وفعلا تغير مسلك الكلب، وخف نباحه ورق كأنما يرحب بنا ويحيينا، فملت فوقه أربت على ظهره، وأداعبه ببعض الكلمات الرقيقة.
وسألها بوارو وهو يتأمل الكلب: هل هو صغير السن؟
- كلا يا سيدي.. إن عمر بوب لا يزيد على ستة أعوام، وهو مرح يحب اللعب.. أحياناً يخطف شبشب الطاهية ويخبئه تحت الاريكة، ويتركها تبحث عنه ساعة كاملة، ولكنه لطيف يحب من الناس أن يداعبوه وأن يداعبهم، والشخص الوحيد الذي يكرهه هو ساعي البريد، فما أن يراه حتي يكشر عن أنيابه، وينبح في وجهه نباحاً مخيفاً.
وقلت متسائلاً:
- إنه لامر عجيب أن نلاحظ أن الكلاب على قدر كبير من الذكاء، ولها منطق خاص تفسر به ظواهر الأمور، فهو يري الزائرين يطرقون الباب كل يوم ويسمح لهم بالدخول، ولكنه يلاحظ أن ساعي البريد هو الوحيد الذي يطرق الباب مرتين أو ثلاثة كل يوم، ومع ذلك يراه لا يدعي إلى الدخول كغيره من الناس، ولذلك يستنتج من هذا بمنطقه الخاص أن ساعي البريد زائر غير مرغوب فيه، ولذلك ينبح في وجهه كلما رآه مقبلاً.
ومال بوارو إلى الكلب يداعبه وهو يردد: إنه كلب ذكي لطيف.
فقالت المشرفة:
- إنه على غاية من اللطف والذكاء يا سيدي.

وفتحت المرأة باب غرفة أخري وهي تردد:

- وهذه هي غرفة الاستقبال يا سيدي.

كانت قاعة فسيحة الأرجاء، زينت جدرانها باللوحات الزيتية والمائية، وكانت في أركانها دواليب عتيقة الطراز صفت فيها أوان أثرية من الخزف، وكانت أروع لوحة فيها صورة تمثل سيدتين عجوزتين جالستين أمام مغزل من الطراز العتيق تغزلان شالاً من الصوف.

واسترعي بصري الكلب الصغير وقد أقعي على ذنبه هادئاً ساكناً بجانب المكتب، وبصره عالق بالأدراج.

وقلت اسأل المشرفة:

- ما الذي يريده بوب..؟

فأجابت:

- إنه يريد كرته يا سيدي.. الكرة التي اعتاد أن يلعب بها، فهي دائماً تودع في هذا الدرج.. ولكنها ليست هنا.. إن كرتك الآن في المطبخ يا بوب.. كرتك في المطبخ.

بيد أن بوب شب على قائمتيه، وتعلق ببنطلون بوارو، كأنما يريد أن يقول:

- إن هذه المرأة حمقاء كاذبة..! كرتي ليست في المطبخ، وإنما هنا.. أنني اعرف أن كرتي توضع دائماً في هذا الدرج.

وانتقلنا إلى غرفة أخري فقالت المشرفة:

- هنا كانت سيدتي تشغل وقتها بتنسيق الزهور، فقد كان جد ولوعة بالأزهار.

وسألها بوارو:

- أتراك أمضيت في خدمتها زمناً طويلاً..؟

- أكثر من عشرين سنة يا سيدي.

- أكنت وحدك القائمة بخدمتها..؟

- بل كانت معي طاهية تعد لها الطعام.

- وهل كانت حديثة العهد بخدمتها..؟

- لقد أمضيت في خدمتها أربع سنوات فقط.. فقد التحقت بالبيت بعد وفاة الطاهية السابقة.

وخلال هذا الحديث سمعنا خبطات منتظمة الإيقاع صادرة من البيت، فقال بوارو متسائلاً:

- ما هذا الصوت..؟ ما سبب هذه الدقات..؟

فأجابت المشرفة:

- إنه بوب يا سيدي يلعب بكرته.. هذه هي لعبته الاثيرة المفضلة.. إنه يقف على رأس الدرج ويعلق بها، فتتدحرج فوق الدرجات، وتحدث هذه الدقات المتتابعة، حتى تستقر في أسفل السلم، فيعود لالتقاطها مرة أخري.

وخرجنا إلى البهو، ورأينا الكرة الصغيرة السوداء تتدحرج على الدرجات، فلما استقرت عند أسفل السلم تناولتها وألقيت بها إليه، فالتقطها، وعاد يكرر اللعبة مرة أخري.

وقالت المشرفة:

- إنه لا يمل هذه اللعبة حتي ولو أمضي ساعات يمارسها.

وصعدنا إلى الطابق الأعلي، وبدأنا نشاهد مخادع النوم.

وأخذت المشرفة تتحدث عن تاريخ هذه الغرف، من الأخوات الأربع كان يشغل هذا المخدع أو ذاك.

ثم أردفت:

- وقد متن جميعاً تباعاً، ولم تبق منهن على قيد الحياة إلا مس اميلي، وها هي ذي قد ماتت منذ شهور.

وسألها بوارو:

- أكان مرضها مزمناً طويلاً..؟

- كلا يا سيدي، فقد كانت صحيحة البدن لولا أمراض الشيخوخة المألوفة، غير أنها أصيبت بالصفراء من عامين، وبدت المسكينة مصفرة الوجه إلى درجة تثير الاشفاق، وقد ظن الدكتور جرينجر إذ ذاك أنها موشكة أن تقضي نحبها، ولكنها شفيت بمعجزة، غير أنها اضطرت أن تعيش فترة طويلة على الخضروات المسلوقة، غير أن مرض الصفراء عاودها مرة أخري إذ لم تكن حريصة على اختيار ألوان الطعام، فقد تناولت حساء بالكاري، فاختتلت وظيفة الكبد لأن الكاري كما تعلم مادة دسمة دهنية.

فقال بوارو:

- وهكذا نزل بها المرض فجأة..؟

- هذا هو ما كان يبدو يا سيدي، وإن كان دكتور جرينجر قد أكد أن المرض بدأ منذ فترة طويلة، وأنه كان ينخر في جسمها تدريجاً، يوماً بعد يوم.. والسبب طبعاً الطعام الدسم وتغيرات الجو الشديدة التفاوت.

فتساءل بوارو:

- ولكن أما كان في وسع لاوسون وصيفتها أن تمنعها من تناول الأطعمة الدسمة..؟

- لقد كانت مس اراندل عنيدة صلبة الرأي تأبي أن تتلقي توجيهاً من أي إنسان.

- وهل كانت مس لاوسون في خدمتها أثناء اصابتها بنوبة مرض الصفراء الأولي..؟

- كلا يا سيدي، فقد التحقت بخدمتها بعد ذلك.

- من كانت إذن وصيفتها في الفترة الأولي..؟

- العديد من الوصيفات يا سيدي، فقد كانت مس اراندل شديدة الوطأة على من يخدمها، فكن لا يطقن البقاء في خدمتها طويلاً، كما أنها كانت دائماً ميالة إلى التغيير والتبديل.

فقال بوارو:

- هذا دائماً شأن العجائز من النساء.. فما تقضي الوصيفة في خدمتها

فترة من الوقت حتي تملها وتفيض بها، وتسعي إلى إبدال سواها بها.

- تماماً يا سيدي.. تماماً.. لقد اصبت بقولك هذا كبد الحقيقة.

- يبدو إذن أنها كانت شديدة التعلق بمس لاوسون..؟

- لا أظن ذلك، فقد كانت مس لاوسون امرأة عادية، وليست على شيء من البراعة.. أنها عجوز حمقاء رأسها مليء بالترهات وتؤمن باستحضار الأرواح.

فبدت أمارات الاهتمام في وجه بوارو وقال:

- الأرواح..؟ هذا عجيب..! ماذا تعنين..؟

وطاب للمشرفة أن تري أن حديثها أثار اهتمامنا، فقالت:

- نعم.. الأرواح يا سيدي.. لاشك أنك تعرف ذلك.. يجلسون في الظلام حول مائدة مستديرة، ويستحضرون أرواح الأموات، ويتحدثون إليها ويوجهون إليها شتى الأسئلة فتجيب عليها.

- إذن فقد كانت مس لاوسون مؤمنة بالأرواح..؟ وما كان شأن مس اراندل..؟ أكانت هي الأخري مؤمنة بها..؟

- هذا هو ما كانت مس لاوسون تتمناه لها.

- ولكن مس اراندل لم تكن تؤمن باستحضار الأرواح.

فأجابت المشرفة:

- كلا.. إن مس اراندل أعقل وأحكم من أن تؤمن بهذه الترهات.. لقد كانت تجد في ذلك مجرد تسلية ليس إلا، أما الآخريات فكن يؤمن بالأرواح إلى أقصى حد.

فقال بوارو متسائلاً:

- الآخريات..؟ من هن هؤلاء الأخريات..؟

- مس لاوسون والأختان تريب.

وعاد بوارو يكرر سؤاله السابق:

- مادامت مس اراندل قد أوصت بكل ثروتها لمس لاوسون فلابد أنها كانت

شديد التعلق بها..؟

- لا أظن يا سيدي، أما أنها أوصت بثروتها لمس لاوسون فهذا شأنها، وهي حرة في تصرفاتها.

وهكذا استطاع بوارو بدهائه ولباقته أن يوجه ما شاء من الأسئلة دون أن يثير شكوك المشرفة، وأن يستدرجها دون أن تشعر إلى الإفضاء بما ينشد من معلومات.

وبعد أن فرغنا من مشاهدة مخادع النوم، مضى بوارو إلى رأس الدرج، وتوقف عند البسطة يدير عينيه في أرجاء المكان.

كان الكلب بوب قد اختفي، فلم نعد نراه أو نسمع نباحه.

ولحقت ببوارو عند رأس الدرج، ولكنني ما كدت أتقدم خطوات حتى تعثرت في شيء ما، وكدت اسقط على وجهي.

وتطلعت أتبين الشيء الذي تعثرت فيه فإذا به تلك الكرة الصغيرة السوداء التي اعتاد بوب أن يلعب بها، إذ تركها الشقي على بسطة السلم.

وقالت المرأة تبدي اعتذارها:

- إني آسفة يا سيدي.. إن هذا الخبيث يترك كرته دائماً في هذا المكان، فلا نتبينها بسبب العتمة، وسوف يتسبب ذلك في يوم من الأيام في سقوط إنسان ودق عنقه.. تصور أن مس اراندل قبل موتها بأيام تعثرت في الكرة وتدحرجت فوق السلم حتي استقرت في أسفله.

- أكان هذا هو سبب وفاتها..؟

- كلا.. فإنها لحسن الحظ لم تصب إلا برضوض وخدوش ولكن عظامها ظلت سليمة لا تتكسر، وإن كانت قد اضطرت أن تلزم الفراش أسبوعاً على الأقل.

- أوقع هذا الحادث منذ زمن بعيد..؟

- قبل وفاتها بأسبوع أو أسبوعين.

وانحني بوارو على الأرض وهو يقول:

- آسف.. لقد سقط قلمي من يدي.

ثم رفع رأسه وهو ممسك بالقلم.. واستطرد:

- ولكن كيف وقع الحادث..؟

- إن السيدة مصابة بالأرق، ولذلك اعتادت أن تنزل في جوف الليل إلى الطابق الأسفل لتشغل نفسها بأي شيء، كتنسيق الزهور أو ترتيب الكتب.

- أمن عادتها أن تفعل ذلك دائماً..؟

- كل ليلة تقريباً.. وكان الضوء ضعيفاً فلم تر الكرة فوطئتها فاختل توازنها وتدحرجت على السلم إلى أسفله.

وهبطنا إلى الطابق الأرضي، وفجأة قال بوارو:

- تري هل يتسع مخدع النوم لدولابي الكبير يا هاستنج..؟ أظن أنه يحسن بنا أن نأخذ مقاس الغرفة.

وصعدنا مرة أخري إلى المخدع، وأخرج بوارو من جيبه المتر المعدني المطوي، وأخذ يدون المقاسات على مظروف خطاب أخرجه من جيبه، ثم ناولني المظروف قائلاً:

- سأخذ المقاسات مرة أخري يا هاستنج، فراجعها معي.

ولكني لم أجد على المظروف أرقام المقاسات، وإنما وجدت هذه العبارة:

(قل للمرأة إنك تريد أن تتحدث في التليفون لأمر عاجل، وأصحبها معك، وأشغلها بضع دقائق في الطابق الأرضي حتى أفرغ من شأني).

وفعلت كما أمر، فهبطت إلى الطابق الأرضي تصحبني المشرفة لكي ترشدني إلى مكان التليفون، وتركت بوارو وحده كما طلب إلى أن أفعل، وحين فرغت من مكالمتي ورجعنا إليه وجدته واقفاً في البهو عند أسفل الدرج وعيناه تتألقان انتصاراً وانفعالاً.

وابتدر المرأة حين اقبلت عليه بقوله:

- لاشك أن حادث الكرة كان صدمة شديدة الوقع على سيدتك، فهل عاودت بعد ذلك الإشارة إلى حادث الكرة..؟

- تماماً يا سيدي، فحين حضرتها الوفاة أخذت تهذي ومضت تردد في حديثها موضوع الكرة، فكانت تقول:

(الكرة.. الكلب على الزهرية).. وهي كلمات لا معني لها.. مجرد هذيان الاحتضار.

- لحظة واحدة.. يجب أن ألقي نظرة أخري على قاعة الاستقبال.

وعدنا إلى الغرفة مرة أخرى، وأخذ بوارو يفحص في اهتمام ما بها من لوحات وتحف، خاصة زهرية من الخزف موضوعة على إحدي المناضد، فأمسك بها وراح يقلبها بين يديه، ويتأملها في اهتمام، وأنا في دهشة من أمره إذ كانت الزهرية مجرد اناء عادي خال من الفن الصادق.

وأخذ يغمغم مردداً نفس العبارة:

- (في الخارج طول الليل والمفتاح غير موجود).

ثم أردف متسائلاً:

- أكان من عادة صاحبنا بوب أن يبيت خارج البيت..؟

- أحياناً يا سيدي.. نعم في بعض الأحيان كان يقضي ليله خارج الفيللا، ثم يعود حوالي الفجر فيقعد خارج الباب مترقباً أن يفتح.

- ومن الذي اعتاد أن يدخله..؟ مس لاوسون..؟

- أي شخص يسمع نباحه.. وآخر مرة، أي ليلة الحادث الذي وقع للسيدة كانت مس لاوسون هي التي ادخلته، فقد سمعت نباحه فهرعت إليه وأدخلته قبل أن يثير ضجة توقظ السيدة، وقد كتمت عن السيدة أن بوب قضي ليلته تلك خارج الدار.

- إذن فقد كانت حريصة على أن لا تعرف السيدة أن بوب أمضي ليلته في الخارج..؟

- هذا ما أوصتنا به يا سيدي.. ولذلك لم نقل للسيدة شيئاً.

- أكان بوب مغرماً بمس لاوسون..؟

- كلا يا سيدي، بل كان يبدو متمرداً على أوامرها لا يستمع إليها، رغم أنها كانت لا تفتأ تداعبه وتعطف عليه.

وفجأة فعل بوارو شيئاً ادهشني ولم أكن اتوقعه منه.

أبرز من جيبه ذلك الخطاب الذي تلقاه من مس اراندل صباح اليوم، ولوح به أمام عيني المشرفة وهو يقول:

- اسمعي يا ايلين.. ما الذي تعرفينه عن هذا الخطاب..؟

وكان التغير الذي طرأ على وجه ايلين مذهلاً.

فغرت فمها، وجحظت عيناها، وبدا الارتباك جلياً في وجهها.

وهمست في صوت أجش مضطرب:

- هذا الخطاب..؟ إني لا أعرف عنه شيئاً يا سيدي.

ثم عادت وتمالكت روعها ورأت أن تعترف بالحقيقة فقالت:

- هل أنت السيد الذي كان مفروضاً أن يرسل إليه الخطاب..؟

- نعم.. إنني هيركيول بوارو.

وغضت المرأة من بصرها وقالت:

- سوف تصاب الطاهية بالدهشة والذهول.

فقال لها بوارو في صوت رقيق النبرات:

- ألا ترين أنه يحسن بنا أن نمضي إلى المطبخ فأتحدث معك ومع الطاهية عن هذا الخطاب..؟

ومضينا نحن الثلاثة إلى المطبخ صامتين.

وابتدرت ايلين الطاهية بقولها:

- آني.. تصوري أن هذا السيد هو صاحب الخطاب.. الخطاب الذي عثرت

عليه تحت مسند المكتب.

وقال بوارو: ثمة أمور مازالت غامضة عليّ.. منها مثلاً السبب في إرسال هذا الخطاب إليّ بعد أن مضي على تحريره زمن طويل.

ولم تر ايلين مناصاً من سرد الحقيقة.

قالت إن مس لاوسون بعد وفاة مس اراندل أخذت تفرز مقتنيات السيدة، وترمي ما لا حاجة بها إليه، وكان مسند المكتب من بينها، فأخذته لأستعمله في بيتي، فوجدت بين طياته هذا الخطاب المعنون باسمك، وقلت في نفسي إنه يبدو أن السيدة كانت تنوي أن تبعث به إليك ثم نسيت.

فسألها بوارو: أكان النسيان من طبائع مس اراندل..؟

فأجابت:

- كانت أحياناً تودع الشيء مكاناً معيناً، ثم تنسي أين وضعته، ويبدو أن هذا كان مصير خطابها إليك.

- أمعني ذلك أنها كانت غير مرتبة..؟

- كلا يا سيدي، بل إنها كانت على العكس محبة للتنسيق والنظام، فلكل شيء عندها مكانه في بعض الأحيان.

ودخل بوب في هذه اللحظة يبصبص بذنبه فقال بوارو:

- وكرة بوب مثلاً.. أكان لها مكان معين تودع فيه..؟

- دائماً في درج المكتب في قاعة الاستقبال.. الدرج الذي أريته لك، فما أن يفرغ من اللعب حتي تبادر السيدة إلى إيداع الكرة بهذا الدرج.

وقال بوارو:

- والآن فلنعد إلى حكاية الخطاب.

واستطردت ايلين:

- حين عثرت على الخطاب عرضت الأمر على آني، وتداولنا فيما ينبغي أن

نصنع به، وخطر لنا أن نسلمه إلى مس لاوسون، ولكننا ما لبثنا أن رأينا أن لا شأن لها بالخطاب، فمادامت السيدة قد كتبته لتبعث به إلى مستر هيركيول بوارو، فلم لا نتولي الأمر عنها ونبعث إليه، فنكون بذلك قد نفذنا ما كانت ترمي إليه.

فانبريت أقول: تفسير معقول لا غبار عليه.

فقال بوارو:

نعم.. إنه تفسير بسيط كما يقول صديقي وإن كان قد ادهشني عندما فضضته أن اتلقي خطابا بعد تحريره بما يربو على شهرين.

وأردف بوارو: إن مس اراندل تعهد إلى بهذا الخطاب بالقيام بمهمة معينة طبيعة سرية خاصة، وأني في الحق لفي حيرة من أمري: فالآن وقد قضت نحبها هل أقوم بهذه المهمة أم أغفل الأمر كله..؟

فأجابت ايلين على الفور:

- ولم لا تستشير محاميها يا سيدي؟ إن مستر بيرفيس محيط بكل شئونها وأسرارها، وهو الذي بعثت تستدعيه بعد سقطتها من السلم.

فقال بوارو:

- وبهذه المناسبة متي وقعت مس اراندل من فوق السلم..؟

وانبرت الطاهية آني تجيب على الفور:

- إنني أذكر تاريخ الحادث تماماً.. كان ذلك في اليوم التالي لعطلة البنك بمناسبة عيد الفصح، فقد كان يوم عطلتي، ولكني اضطررت إلى الانتظار إلى اليوم التالي بسبب الحادث وبسبب الضيوف الذين كانوا عندنا.

وأخرج بوارو مفكرته وقلب فيها ثم قال: عطلة عيد الفصح كانت في اليوم الثالث عشر من الشهر.. إذن فقد وقعت مس اراندل على السلم في اليوم الرابع عشر، ثم حررت إلى هذا الخطاب بعد ثلاثة أيام من وقوع الحادث أي يوم ١٧ أبريل.. ومما يؤسف له أن مس اراندل قضت نحبها، فلم أعد أدري على وجه

اليقين كنه المهنة التي أرادت أن تعهد بها إليّ.

ثم ما لبث أن غمغم بصوت خافت كمن يحدث نفسه:

- تري هل هذه المهمة خاصة بأحد الضيوف الذين كانوا في الدار؟

واصابت هذه الإشارة المرمي، فقد التمعت عينا ايلين وتطلعت إلى الطاهية، فردت عليها هذه بنظرة فهم وإدراك.

وقالت ايلين: لابد أن الأمر متعلق بمستر شارل.

فسألها بوارو:

- هل لك أن تسردي عليّ أسماء من كانوا في ضيافة مس اراندل أثناء عطلة عيد الفصح.

وذكرت له الأسماء التي استفسر عنها، فعاد يسألها:

- ومتي رحلوا يا تري..؟

فأجابت: صباح الأربعاء يا سيدي، ولكن الدكتور تانوا وزوجته مسز بيلا رجعا مرة أخري في عطلة الأسبوع التالي، لأنهما كانا متلهفين إلى الاطمئنان على صحة مس اراندل.

- ومستر شارل ومس تيريزا..؟ ألم يرجعا..؟

- بل رجعا، ولكن في عطلة الأسبوع الذي يليه.. العطلة السابقة لوفاة مس اراندل.

ونهض بوارو واقفاً وهو يقول:

- شكراً لكما على هذه المعلومات القيمة، ولكن لابد لي بعد ذلك من الاتصال بمستر بيرفيس محامي مس اراندل.

وشيعتنا ايلين إلى الباب الخارجي والكلب بوب يتواثب حول أقدامنا، كأنما يودعنا بدوره.

انكشاف غموض الخطاب

قلت لبوارو وقد غادرنا فيللا ليتل جرين: والآن أتراك اكتفيت بما ظفرت به من معلومات..؟

- لقد انزاح الغموض الذي كان يكتنف الخطاب، فقد عرفت المقصود بحادث كرة الكلب.

فقلت:

- وعرفت طبعاً أنه حادث تافه.. كرة ملقاة على بسطة الدرج، وفي ظلمة الليل وطئتها مس اراندل فتعثرت وتدحرجت على الدرج، وجاءت سليمة فلم تدق عنقها.

فعقب بوارو بقوله:

- ليس الأمر على هذه البساطة التي تصفها يا عزيزي هاستنج.

فتأملته في استغراب وقلت متسائلاً:

- ماذا تعني يا تري..؟

- أعني أني عرفت شيئاً لم تفطن إليه أنت.

- حقا..؟ وما يكون ذاك..؟

- لقد رأيت مسماراً مدقوقاً بأسفل جدار السلم عند البسطة العليا.

- وماذا في ذلك..؟ ربما دق هذا المسمار لغرض معين.

- وهذا الغرض هو الذي يثير شكوكي.. إنني استطيع بسهولة أن أتخيل الغرض من دق هذا المسمار.. إذا أنت اردت أن تشد خيطاً أو سلكاً عبر درجات السلم، فأنك تدق مسماراً في الجدار الأصم المسدود للسلم وتربط فيه السلك، ثم تعقده حول سياج السلم في الناحية المقابلة.. فإذا خطوت فوق البسطة

تعثرت في السلك المشدود وتدحرجت على درجات السلم.

فهتفت:

- يا الهي..! ما الذي ترمي إليه يا بوارو..؟

- لا شيء إلا أن أفسر المقصود بعبارة (حادث كرة الكلب).. العبارة التي ذكرتها مس اراندل في خطابها.

- أرجوك.. استمر في حديثك.

- لقد لاحظ بعضهم أن الكلب اعتاد أن يترك كرته فوق البسطة، وهي عادة مؤذية قد تؤدي إلى خطر جسيم إذا ما وطيء أحدهم الكرة فانزلقت قدمه، فاغتنم احدهم الفرصة وحاول أن يدبر جريمة قتل محكمة بحيث تبدو وكأنها قضاء وقدرا، فدق المسمار وشد خيطاً يعترض الطريق، لأنه يعلم أن مس ارانِدل تقوم عادة في جوف الليل إذا ما أصابها الأرق، وتهبط إلى الأرض لتشغل وقتها بأي عمل أثناء فترة الأرق.

فهتفت:

- يا لها من خطة ماكرة خبيثة..!

- نعم.. خطة شريرة، ولكن تدبير القاتل فشل إذ لم تصب مس ارانِدل إلا بمجرد خدوش ورضوض بسيطة.

واستطرد بوارو:

- وقد اجمع القوم على أنها وطئت الكرة فانزلقت قدمها، وكانت الكرة موجودة فوق البسطة دليلاً حاضراً يؤيد ما رددته الألسن، ولكن مس ارانِدل وقد صفا ذهنها بعد الحادث كانت تشعر أنها لم تطأ الكرة، ثم ذكرت شيئاً آخر وهو أن جميع من في البيت التفوا حولها وهي مكومة عند أسفل السلم، عدا بوب، مع أن المفروض أن كلبها هو أول من يهرع إلى جانب سيدته المحبوبة، ولكنها لم تسمع نباحه بجانبها لأنه كان في تلك الليلة بائتاً خارج البيت.

وسكت بوارو هنيهة، ثم استطرد يقول:

- كل هذا طبعاً تخمين واستنتاج، ولكنني اعتقد تدرجاً بالواقع أن مس اراندل كانت قد اودعت الكرة درج المكتب، كما هو دأبها دائماً كما قيل لنا بعد أن يفرغ بوب من اللعب بها، وبعد ذلك خرج بوب من البيت ثم لم يعد إليه إلا عند الفجر، فمن المستحيل إذن أن يكون بوب قد عاود اللعب، وبالتالي فإن من المستحيل أن يكون ثمة ما دعا إلى إخراج الكرة من الدرج، ولو أن بوب نطق لما خرج حديثه عن تخميناتي، ولكن مما يؤسف له أنه شاهد أخرس لا يملك الإفصاح عما في نفسه.. إنه الشاهد الوحيد الذي يعرف الحقيقة، ولكنه بكل أسف شاهد أخرس.

فقلت معترضاً: ألا تري يا عزيزي بوارو أن هذا التحليل مجرد تكهنات لا سند لها.

فقال: بل لها سند في بعض الكلمات التي رددتها اراندل وهي تهذي أثناء احتضارها.. لقد قالت كما ذكرت لنا ايلين (الكرة .....) (الكلب على الزهرية).. وحملت ايلين هذه الكلمات على محمل هذيان الاحتضار.. ولكني اخذتها على معني آخر، إذ ذكرت أنني شاهدت في قاعة الاستقبال زهرية مرسوماً عليها كلب، ولذلك عدت إلى القاعة وأخذت أفحص الزهرية باهتمام.

فسألته: وأي شيء كانت تمثله الصورة المرسومة على الزهرية..؟

فأجاب: كانت تمثل كلباً جالساً خارج البيت على العتبة، والباب موصد.. فلعلك أدركت الآن كيف اتجهت خواطر مس اراندل أثناء احتضارها.. لقد أرادت أن تقول: (الكلب خارج البيت مثل الصورة المرسومة على الزهرية، فمن المستحيل أن يكون هو الذي ترك الكرة على بسطة السلم).

فهتفت:

- بوارو.. الحق أنك عبقري..! كيف استطعت بالله عليك أن تربط الوقائع بعضها ببعض فتصل إلى هذه النتيجة المذهلة..؟

فقال ضاحكا:

- ألم تعرف ألى اليوم أن هيركيول بوارو عبقري لا نظير له في الدنيا..؟

ثم أردف:

- ومع ذلك فقد كانت المسألة واضحة، وبشيء من التفكير المنطقي المنظم لم يكن عسيراً على أي إنسان أن يربط بين الوقائع كما فعلت، وأن يصل إلى نفس الاستنتاج.. أنسيت ما ذكرته مس اراندل في خطابها من أن الهواجس استبدت بها منذ حادث كرة الكلب، وأنها أحياناً كانت تتهم نفسها بأنها امرأة عجوز مخرفة، وأن الأفكار التي تدور في خواطرها مجرد وساوس.

واستطرد بوارو:

- كان خطابها غامضاً، ولكن بعد هذا التحليل الذي سردته عليك يمكنني أن أقرر في يقين أنها أرادت أن تقول إن شخصاً ما أراد أن يقتلها.. ثم ماتت بعد ذلك بفترة وجيزة، فهلا تثير شكوك ميتتها التي أعقبت محاولة قتلها..؟

فقلت:

- ولكن القوم أجمعوا على أنها ماتت ميتة طبيعية.

- وهل كانت حقاً ميتة طبيعية..؟

فقلت متهكماً:

- أتظنها ماتت مسمومة..؟

فهز بوارو كتفيه قائلاً:

- يجب أن أعترف أن جميع الظواهر توحي بأنها ماتت ميتة طبيعية.

فقلت:

- إذن فلا مفر من أن تعود إلى لندن خالي الوفاض.

- كلا يا صديقي.. إننا لن نعود إلى لندن.

فحملقت فيه في استغراب قائلاً:

- ماذا تعني يا صديقي..؟

- في هذه القضية قاتل، وهيركيول بوارو لا يمكن أن يهدأ بالاً إلا إذا اقتنص القاتل.. إنني لن أعود إلى لندن إلا بعد أن أفرغ من تحرياتي.. لابد أن التقي بكل من لهم صلة بمس اراندل.

- والدور اليوم على من يا تري..؟

- سوف نذهب لمقابلة الدكتور جرينجر الذي كان يتولي علاج مس اراندل.

كان الدكتور جرينجر كهلاً في الستين من العمر، وقد تلقانا في مودة وترحاب، ثم سألنا عما نبغي من زيارته.

وساق إليه بوارو على الفور أكذوبة محبوكة.

قال:

- إنني يا سيدي بسبيل وضع كتاب عن حياة الجنرال اراندل وأعماله المجيدة في بلاد الهند، وقد عرفت أنه عاش طويلاً في ماركيت بيسنج، فجئت أنشد منك بعض المعلومات.

فقال الطبيب:

- إنه حقاً أقام طوال حياته في ماركيت بيسنج، ولكني حديث العهد بهذه البلدة إذ حللت فيها في عام ١٩١٩ فمعرفتي به محدودة.

- ولكنك عن يقين تعرف ابنته.. مس اميلي اراندل.

- هذا صحيح.. فأنا الذي كنت أتولي علاجها.

فقال بوارو:

- لقد كنت أمني النفس بأن تمدني مس اراندل بالكثير من المعلومات عن أبيها، فكانت صدمة شديدة لي أن عرفت أنها ماتت في أول مايو، وأصبحت في حيرة لا أدري ماذا أفعل.

فقال الدكتور جرينجر:

- كان للجنرال ارandel خمسة أبناء، ولد واحد وأربع بنات، وقد لحقتهم المنية جميعاً.
- أليس له أقارب آخرون..؟
- يمكنك أن تتصل بأحفاده، أعني شارل اراندل وأخته تيريزا، وكذلك مسز تانوا، وإن كان يغلب على ظني أنك لن تظفر منهم إلا بالقليل، لأن الجيل الجديد كما تعرف لم يعد يحفل بتاريخ الجدود والأسلاف.
ولكن دعني أسألك:
- هل الجنرال اراندل شخصية تاريخية ذات شأن تحملك على أن تؤلف عنه كتابا..؟
- نعم يا سيدي، فقد كان له دور مشهود في إخماد الثورة الهندية.
فأومأ الطبيب برأسه مؤمنا وقال:
- صدقت، فقد سمعت مس بيبودي تردد هذه القصة أمامي أكثر من مرة، ولعلك تستطيع إن قابلتها أن تظفر منها بمعلومات ذات شأن، فقد كانت وثيقة الصلة بمس اراندل.
واستفسر منه بوارو عن عنوان مس بيبودي، ثم سأله عن عنوان شارل اراندل فقال له:
- شارل..! إنه شاب تافه لا شأن له.. مجرد شاب مرح شأن أبناء الجيل الجديد، لا يحفل بتاريخ أسرته أو أجداده، وقد قضي حياته يطوف العالم سعياً وراء المتع والملذات.
- أكانت عمته مس اراندل مولعة به..؟
- الحق أنني لا أدري.. ولكن اميلي لم تكن بالمرأة الحمقاء، فما كان ليخفي عليها أن شارل إنما يحوم حولها سعياً وراء مالها.
- أكان موتها فجائياً..؟

- يمكنك أن تقول هذا، فقد كانت أمراض الشيخوخة تفتك بها، وإن لم تشأ هي أن تعترف بذلك أبداً، وقد نجت بأعجوبة من عدة أزمات نزلت بها.

فقال بوارو: معذرة أن وجهت إليك هذا السؤال، فإن الأمر شائع معروف.. لقد بلغني أنها حرمت أسرتها من الميراث.

فأجاب الدكتور جرينجر: لقد أوصت بكل ثروتها لوصيفتها الحمقاء، وإن كنت في الواقع لا أعرف السر في هذا.

فقال بوارو معقباً:

- إنه لأمر طبيعي أن يشعر المرء في شيخوخته بالامتنان نحو الشخص الذي لازمه وأشرف على رعايته ففي مثل هذه الحالات ينشأ بين الشخصين نوع من المودة والتآلف.

وأثارت هذ الكلمات الدكتور جرينجر فهتف في انفعال:

- مودة..! تآلف..! إن مس اراندل كانت تعامل مس لاوسون كأنها جارية من الرقيق.. كانت دائماً تعنفها وتزجرها، ولا تفتأ تحقر من شأنها وتزدريها.

فقال بوارو متسائلاً: ألا يجوز وقد آلت الثروة إلى هذه الوصيفة مس لاوسون أن يكون بين مقتنياتها شيء من رسائل الجنرال اراندل..؟

- ربما.. فحاول أن تقابلها فقد تمدك بشيء من المعلومات.

- هل لك أن تذكر لي عنوان شارل وأخته تيريزا..؟

- يؤسفني أني لا أعرفه، ولكن ربما كان مساعدي الدكتور دونالدسون على علم به فإنه خطيب تيريزا.

واستدعي مساعده من الغرفة المجاورة.

وحين اقبل الشاب استفسر من الدكتور عما ينبغي فأجاب:

- لا اعتقد أنني أعرف عنوان شارل، ولكن إليك عنوان أخته تيريزا.

وحيا بوارو الطبيبين، وانصرف شاكراً.

سكرتير الجنرال

قلت لهير كيول بوارو وقد غادرنا بيت الطبيب:
- أمن الضروري يا بوارو أن تسوق إلى الناس كل هذه الأكاذيب..؟ فأنت مرة تريد أن تشتري الفيللا.. ومرة أخري تريد أن تؤلف كتاباً عن حياة الجنرال ارانديل.. ومرة ثالثة..

فقاطعني ضاحكاً:
- ولكن ألا تري أن هذه الأكاذيب هي التي أتاحت لي أن أحصل على المعلومات التي تنقصني..؟
فسألته:
- أتري أن الدكتور دونالدسون اقتنع باكذوبتك..؟
فهز بوارو رأسه سلباً وقال:
- لا أظن.. فقد رأيته يحدجني بنظرات تنم عن الريبة والشك.
وعدت اسأله:
- والآن ما هي خطواتنا التالية..؟
فأجاب:
- سنقوم بزيارة مس بيبودي التي حدثنا عنها الدكتور جرينجر، إذ أغلب ظني أنها من طراز الثرثار الذي يزخر حديثه بسيل من المعلومات.
وطرقنا بابها، وقلنا إننا قادمان من طرف الدكتور جرينجر.
وبعد دقائق اقبلت تتهادي في ثوب من المخمل الأسود.
ولشدة دهشتنا ابتدرتنا بهذه الكلمات:

- الديكم شيء تبيعانه إلي..؟

فأجابها بوارو:

- كلا يا سيدتي.. ليس لدينا ما يباع.

- أحقا تقول..؟ مكنسة كهربائية مثلاً..؟

- كلا يا سيدتي.

- جوارب حريرية..؟

- ولا هذا أيضاً يا سيدتي.

فاستوت جالسة على أحد المقاعد، وأشارت إلينا تدعونا إلى الجلوس.

ثم قالت:

- إذن ما الذي تريدان مني..؟ لقد حسبتكما من الباعة المتجولين.. أني آسفة واعتذر اليكما.

وللمرة الثانية أخذ بوارو يسرد عليها أكذوبته عن تأليفه كتاباً عن الجنرال اراندل، دون أن يتلعثم أو يطرف له جفن.

وسألته مس بيبودي:

- إذن فأنت تنوي أن تؤلف كتاباً.

- نعم يا سيدتي.

- بالإنجليزية.

فأوما إيجاباً، فقالت:

- ولكنك أجنبي فيما يبدو لي.. فهل كنت سكرتيراً للجنرال..؟

فغمغم بكلمات مبهمة فهمت منها المرأة المسكينة أنه كان سكرتيراً للجنرال اراندل.

ثم أردف على الفور حتى لا يتيح لها فرصة لاستجوابه.

- واعتقد أنك كنت تعرفين الجنرال اراندل حق المعرفة.

- نعم كنت أعرفه تماماً.. أنه سكير مدمن.

وران علينا الصمت برهة، ثم استطردت مس بيبودي:

- والآن ما الذي تريد أن تعرفه مني..؟

- أي شيء وكل شيء.. أي شيء عن أسرته.. الشائعات والأقاويل.. حياته المنزلية.

وصمتت مس بيبودي برهة مفكرة، ثم قالت:

- إنني لا أكاد أعرف شيئاً عن تاريخه في بلاد الهند.. كان دائماً يتحدث عن حياته في الهند.. عشرات المرات في اليوم الواحد.. ولكن حديثه كان يثير ضجري، فكنت أسرح في خواطري ولا أكاد أعي حرفاً مما يقول.

وسألها بوارو:

- أنك كنت فيما اعتقد وثيقة الصلة بأفراد أسرته..؟

- نعم.. إن معرفتي بهم وثيقة.. كانت ماتيلدا هي أكبر أولاده سناً، وهي فتاة مرحة، وكانت تحترف مهنة التدريس في مدارس الأحد.. أما اميلي فكانت رياضية تجيد ركوب الخيل، وكانت هي الوحيدة التي تستطيع أن تعارض أباها وتقف في وجهه، فكانت تجمع زجاجات الشراب وتخفيها في مكان ما، حتي تبعدها عن متناول يده.. ويأتي بعد ذلك توماس.. وقد عاش طوال عمره عزوفاً عن النساء، ولكنه حين تزوج كان زواجه صدمة للجميع.

وأطلقت مس بيبودي ضحكة مرحة صادرة من أعماق قلبها.

واستطردت:

- أما ارابيلا ففتاة بسيطة ساذجة، ورغم أنها كانت دميمة إلا أنها تزوجت زيجة طيبة.. اقترنت بأستاذ في جامعة كمبريدج.. كان حقاً رجلاً عجوزاً، ولكنه كان يشغل منصباً رفيعاً، وله أبحاث رائعة في الكيمياء، ورغم أنها لم تكن تفهم شيئاً عن أبحاث زوجها أو اهتماماته إلا أنهما كان زوجين سعيدين.. وأخيراً تأتي أنييس وهي

أصغر الجميع سناً وأجمل أخواتها، ورغم ذلك فإنها قضت حياتها عانساً ولم تتزوج.
وسألها بوارو:
- قلت إن زواج توماس كان صدمة للجميع.. فما السبب..؟
- نعم.. كان زواجه صدمة للجميع ومثيراً للدهشة.. هل تذكر يا تري قضية مسز فارلي التي اتهمت بأنها دست السم لزوجها فقتلته، وإن كانت قد برئت ولم تثبت التهمة ضدها.. تصور أن توماس.. توماس الذي عاش حياته راهباً عزوفاً عن النساء.. توماس هذا وقع في غرام هذه المرأة وتزوجها.
فقال بوارو:
- وكان زواجه منها صدمة أليمة لأخواته..؟
- طبعا.. وقد رفضن جميعاً أن يستقبلنها، ولست الومهن على موقفهن منها، وقد أغضب سلوكهن توماس فرحل عن البلدة وعاش في إحدي الجزر البعيدة، ولم يعد أحد يسمع عنه أو عن زوجته شيئاً، غير أن الشيء المؤكد أنها لم تدس السم لزوجها الثاني توماس، فقد وافتها المنية قبله بثلاث سنوات، وأنجبا ولداً وبنتا هما شارل وأخته تريزا.
فسألها بوارو:
- وهل ظلا يعيشان بمعزل عن الأسرة كما كان شأن أبيهما من قبل..؟
- كلا، بل كانا يترددان دائماً على عمتهما اميلي.. وكذلك كانت بيلا بيجز ابنة اختها لا تفتأ تزور خالتها من وقت لآخر.
- أهي متزوجة..؟
- نعم.. لقد تزوجت أجنبيا يوناني الجنسية يدعي الدكتور تانو، وهو رجل لطيف المعشر حلو الحديث، وإن كنت لا أطمئن إلى سلامة نواياه، فهو يبدو لي خبيث الطوية.
- وهل هما زوجان سعيدان..؟

- لا أدري، فالحكم على أي زواج بأنه سعيد أو غير سعيد مسألة على غاية من الصعوبة.. وقد أنجبا من هذا الزواج ولدا وبنتا معتلي الصحة، وهما الآن يعيشان في أسمرة في بلاد الحبشة.

وتساءل بوارو: ولكنهما الآن في إنجلترا، أليس كذلك..؟

- لقد حضرت بيلا إلى إنجلترا في شهر مارس مع زوجها، وهما الآن فيما أعتقد موشكان على العودة.

- وهل كانت اميلي تحب ابنة اختها بيلا..؟

- تحبها..؟ إن بيلا فتاة ساذجة تغرق وقتها كله في رعاية طفليها.

- وما كان رأيها في الدكتور تانوا..؟ أكانت راضية عنه..؟

- كلا.. فقد كانت بل تأكيد غير راضية عنه، ومع هذا فقد كان حديث هذا الخبيث يطيب لها، فهو ذكي مهذب السلوك، وإذا سألتني رأيي فيه اجبتك بأنه رجل جشع، له أنف حساسة تشم رائحة المال حيث يكون.

وقال بوارو: لقد بلغني أن مس اراندل خلفت بعد وفاتها ثروة ضخمة.

واعتدلت مس بيبودي في مقعدها وقالت:

- هذا صحيح، وهو ما أذهل الناس جميعاً.. فعند وفاة الجنرال لم يترك لأولاده إلا ثروة محدودة القدر قسمت بين ابنه وبناته، وعند رحيل توماس وازابيلا أخذا معهما نصيبهما من الأوراق المالية، أما اميلي وأخواتها فكن يعشن عيشة شح وتقتير، وكن يستثمرن مدخراتهن بين اميلي وأنييس، وبوفاة انييس آلت ثروتها كلها إلى اميلي، وهكذا أصبحت اميلي ذات ثروة ضخمة، أوصت بها كلها إلى وصيفتها مس لاوسون.

- تري هل أدهشتك هذه الوصية..؟

- بل ادهشت الجميع، فقد كانت اميلي تردد طوال حياتها أنها ستترك ثروتها لبنت أختها بيلا وابن اخيها شارل وأخته تريزا.. والواقع أن هذا كان هو

فحوى وصيتها الأولى، كما أوصت لخدمها بمبالغ نقدية متفاوتة، ولكننا فوجئنا بعد وفاتها بوصية جديدة أوصت فيها بكل شيء لوصيفتها مس لاوسون.

فسألها بوارو:

- تري هل حررت هذه الوصية الجديدة قبيل وفاتها مباشرة..؟

فرمقته مس بيبودي بنظرة متفحصة وقالت:

- أتريد أن تشير بهذا إلى أنها حررتها في مرض الموت بتأثير من مس لاوسون فهي اذن وصية قابلة للطعن..؟ إن مس لاوسون يا عزيزي امرأة حمقاء لا يمكن أن تفرض تأثيرها على أحد، ثم إن مس اميلي كانت امرأة قوية الشكيمة عنيدة الرأي، لا يمكن أن تخضع لتأثير مخلوق، والواقع أن الوصية عند فضها أذهلت مس لاوسون نفسها، ولم تصدق ما كانت تسمعه وهي تقرأ عليها.. أو هذا على الأقل هو ما رددته.

واستطردت مس بيبودي قائلة:

- لقد حررت الوصية قبل الوفاة بعشرة أيام، ويرى المحامون أنها وصية سليمة لا سبيل إلى الطعن فيها.

وسألها: هل اتخذ أحد أي اجراءات للطعن في الوصية..؟

- اعتقد أن تيريزا استطلعت في الأمر رأي بعض المحامين، وأغلب الظن أنهم نصحوها بالاستسلام للأمر الواقع.

فقال بوارو: ولكن لاشك أن أفراد أسرة مس اميلي ناقمون على مس لاوسون نقمة شديدة..؟

- هذه هي الطبيعة الإنسانية فلا لوم عليهم في هذا ولا تثريب.

وبعد فترة قصيرة من الصمت قال بوارو:

- أحقاً أن مس اميلي كانت تؤمن باستحضار الأرواح..؟

- إذا كنت تظن أن روح الجنرال ارandel هي التي أمرت اميلي بأن توصي

بثروتها لوصيفتها، فأنت في هذا واهم، فإنها كانت تجد في استحضار الأرواح مجرد تسلية لطيفة، كلعبة البريدج مثلاً.. تري هل قابلت الأختين تريب..؟

- كلا.. أني لم أحظ بهذا الشرف بعد.

- إنهما تزعمان أن لهما القدرة على استحضار الأرواح، وكانت اميلي تحضر الجلسات التي تعقدها الأختان تريب - وعلى سبيل التسلية فقط، كما أشرت من قبل.

وسألها: وما رأيك في شارل ارائدل..؟

- شاب عربيد ماجن.. دائماً مفلس، ودائماً غارق في الديون، وهو جشع وراء المال، ولن يتردد في أن يقتل جدته لكي يظفر بجنيه واحد، وطالما حرر شيكات بدون رصيد، فيسارع إلى عمته لتنقذه من ورطته.. بل إنه لا يعف حتى عن التزوير.

- واخته تريزا.. ما رأيك فيها..؟

- فتاة ماجنة من الجيل الحديث الفاسد المنحل، وهي تنفق على ثيابها وسهراتها كل دخلها، بل أعتقد أنها تصرفت في جزء من الأوراق المالية التي تملكها.

- وخطيبها الدكتور دونالدسون.. ما قولك فيه..؟

- الدكتور جرينجر هو الذي كان يتولي علاج مس ارائدل، أما دونالدسون فلم يكن له شأن بها.

ثم أردفت:

- ودونالدسون على أية حال شغوف بالتجارب العلمية، وأحسبه لا يستطيع التفرقة بين الحصبة والصداع.

فضحك بوارو وقال:

- إن لك فيه رأياً عجيباً.. أتراه منكباً على إجراء التجارب ليدرس مرضاً معينا..؟

- لا أدري، ولكنه على أية حال لا يملك من المال ما يتيح له فرصة لإجراء التجارب التي يتمناها.

وشكرها بوارو على المعلومات التى زودته بها، فنهض منصرفاً.
وقالت له مس بيبودي وهي تصافحه:
- عندما يظهر كتابك في السوق فلابد أن توافيني بنسخة منه.
فأجابها بوارو: طبعاً.. طبعاً..
ولكننا حين خرجنا إلى البهو تناهى إلى أسماعنا صوت مس بيبودي وهي تطلق في أعقابنا ضحكة مدوية مليئة بالسخرية.

***

الرحيل

أحمد

اجاثا كريستي

الأرواح



كانت الساعة إذ ذاك قد جاوزت الخامسة والنصف، فاقترح بوارو أن نذهب لزيارة الاختين تريب، الوسيطتين اللتين تزعمان أن لهما القدرة على استحضار الأرواح.

وأرشدنا أحد الأطفال إلى دارهما، وخفت إحدي الاختين إلى لقائنا، وكانت رغم سنيها الخمسين جمة النشاط ذات حيوية.

وابتدرها بوارو بقوله:

- معذرة يا سيدتي أن تطفلت عليك بهذه الزيارة، فقد حضرت إلى ماركيت بيسنج لمقابلة سيدة معينة، فقيل لي إنها غادرت البلدة، وأنك ربما كنت تعرفين عنوانها.

- حقاً..؟ ومن تكون هذه السيدة يا ترى..؟

- إنها صديقة لك.. أعني مس لاوسون.

فقالت:

- إنها من أعظم صديقاتنا.. تفضل بالجلوس يا مستر باروتي.. آه.. ها هي أختي إيزابيل.. دعيني أقدم لك مستر باروتي.

فقد جاء إلى الغرفة في هذه اللحظة امرأة متقدمة في السن، وإن كانت ترتدي فستاناً لا يصلح إلا لفتاة في السادسة عشرة من العمر.

واستطردت المرأة موجهة الحديث إلى أختها:

- هذان السيدان صديقان لعزيزتنا ميني لاوسون.

ثم تحولت إلى بوارو تسأله:

- هل رأيت عزيزتنا ميني منذ عهد قريب..؟

- كلا.. فقد انقضت سنوات دون أن نلتقي، إذ كنت غائباً عن البلاد، ولذلك أسعدني أن أسمع أنها ورثت ثروة ضخمة.

فهتفت ايزابيل:

- إن ميني سيدة طيبة تستحق كل خير نالته يا جوليا.. أتذكرين جلسة استحضار الأرواح الأخيرة..؟ لقد كتبت بوضوح حرف الباء.. سيد قام من الخارج، يبدأ اسمه بحرف الباء.

فقالت إيزابيل مؤمنة:

- تماماً.. تماماً.. لقد صدقت النبوءة.. إن الأرواح لا تكذب أبداً.

ثم تحولت إلى بوارو تسأله:

- تري هل تؤمن بالأرواح يا مستر باروتي..؟

- الواقع أنه لا تجربة لي في هذا الصدد، ولكني أؤمن بأن هناك ظواهر عجيبة لا تفسير لها.

- هذا صحيح يا سيدي.. إن جميع الأديان لا تنكر وجود الأرواح، وتعترف بأنها على اتصال وثيق بالعالم الأرضي.

- أظن أن المرحومة مس اراندل كانت مؤمنة بالأرواح وأنها كانت شغوفة بحضور الجلسات التي تعقدانها..؟

وتبادلت الأختان نظرة سريعة.

وقالت جولياً:

- الحق أني لست أدري.. فأحياناً تبدو مؤمنة بـالأرواح، وفجأة تراها تنكرها.. ففي الليلة التي أصابها فيها المرض ذهبت أنا وأختي نزورها، وعقدنا جلسة اقتصرت علينا نحن الأربع، أعني أن مس لاوسون انضمت إلينا في هذه

الجلسة.. وقد تجسدت الأرواح في هذه الجلسة، ورأينا هالة نورانية تحيط برأس مس اميلي.

فعقب بوارو في دهشة:

- هذا عجيب..!

فالتفتت جوليا إلى اختها قائلة:

- أليس هذا هو ما حدث يا إيزابيل.. هالة من النور حول رأسها.

وقالت إيزابيل:

- وقد تحدثت إلينا الروح، وقالت إن اسمها (فاتيما).

فقال بوارو في لهجة تنم عن الدهشة:

- الروح تحدثت إليكما..! هل سمعتما صوتها..؟

- كلا.. كلا.. بل كانت تدق المائدة بطريقة خفية فنسمع دقاتها ونفسرها.. كانت تقول لنا: (الحب.. الأمل.. الحياة).

- وهل أصاب المرض مس اميلي اراندل أثناء الجلسة..؟

- بل بعدها.. لقد أحضرنا بعض السندويتشات ونبيذا معتقاً، ولكن مس اراندل أبت أن تتناول شيئاً إذ كانت تحس أعراض المرض.

فانبرت ايزابيل تقول:

- من حسن حظها أنها لم تكابد أوجاع المرض طويلاً، فقد ماتت بعد أربعة أيام.

وقالت جوليا:

- وقد تلقينا منها بعض الرسائل بعد وفاتها.. قالت إنها سعيدة جداً، وأن كل شيء (هناك) جميل، وأنها ترجو لأحبائها أن يعيشوا في حب وسلام.

فتنحنح بوارو قائلاً:

- ولكن هذا ليس هو الحال بكل أسف.

فقالت إيزابيل:
- مما يؤسف له أن ورثتها أساءوا إلى ميني لاوسون إساءة بالغة.
وقالت جوليا:
- لقد شهروا بها، وأذاعوا عنها المفتريات، مع أنها امرأة طيبة كريمة السجايا.
وعادت إيزابيل تقول:
- إنها لم تكن تعرف شيئاً عن الوصية، ولم يكن لها أي دخل في تحريرها، بل أنها ذهلت عندما تليت عليها، ولم تكد تصدق أذنيها.
فقالت جوليا:
- نعم.. لم تكن لدي المسكينة أية فكرة عن هذه الوصية.. هذا ما رددته عشرات المرات.
وعادت إيزابيل تقول:
- إن مس اراندل على حق فيما فعلته، فقد كانت مس لاوسون مخلصة لها متفانية في خدمتها، وكانت اميلي لا تثق في أقاربها، وتعلم أنهم يترقبون وفاتها بفروغ صبر حتي يستولوا على ثروتها.
واستطردت إيزابيل:
- إن شارل شاب طائش ماجن، وقد ارتكب في بعض البلاد الأجنبية جرائم تزوير وتحرير شيكات بدون رصيد، ولولا ما حظي به من عطف عمته لكان اليوم نزيل السجون، أما أخته تريزا ففتاة منحلة الخلق، وأعتقد أنها مدمنة على المخدرات.
فتساءل بوارو:
- وأقرباؤها الآخرون..؟ ما رأيك فيهم..؟
- إن مسز تانوا امرأة لا غبار على سلوكها، ولكنها العوبة في يد زوجها، ولاشك أنه استولي على مالها وبدده في المضاربات.

- إذن فأنت تعتقدين أن مس لاوسون أحق بثروة مس اميلي من ورثتها الشرعيين.

- هذا هو رأيي، فقد كانت ميني متفانية في خدمة سيدتها.

- لقد فكرت في هذا فعلاً، ولكنها امرأة متدينة، والدين ينكر على المرء أن ينبذ وصايا الأموات.. إن وصية الميت أمر مقدس ينبغي الانصياع له، أليس هذا هو رأيك..؟

- تماماً.. تماماً.. إن الدين يأمرنا بالخضوع لوصايا الأموات.

ثم أردف:

- والآن هل تزوديني بعنوان مس لاوسون..؟

وذكرت له العنوان، وقالت له وهي تشيعه إلى الباب:

- أرجوك أن تبلغ تحياتنا إلى مس لاوسون، فإنها لم تتصل بنا منذ فترة طويلة.

وشد بوارو على يد الأختين مصافحاً مودعاً، وهو يقول:

- تأكدا أنني سأبلغها تمنياتكما.. وآمل أن نلتقي مرة أخرى في إحدي جلسات استحضار الأرواح، فقد أصبحت مؤمناً بها.



فكرة حمقاء

حين ركبنا السيارة التفت إلى بوارو قائلاً: والآن فلنعد إلى لندن.

فغمغمت: ألا شكراً لله.

- ولكننا سنعود مرة أخري إلي ماركيت بيسنج، فإني لم أفرغ بعد من تحرياتي.

- أغلب ظني أنك غارق في الأوهام، وأنك لن تعثر أبداً على هذا القاتل المزعوم، إذ لاشك عندي أن مس ارإندل ماتت ميتة طبيعية.

- سوف نري يا عزيزي هاستنج.. سوف نري.

وتابعنا مسيرتنا إلى لندن ونحن لائذان بالصمت فترة من الوقت.

وفجأة قلت لبوارو وكلماتي تنبض بالاستخفاف:

- ألا تري يا عزيزي بوارو أنك تبدد وقتك هباء. أراه ماتت ميتة طبيعية، ومع ذلك فأنت تحاول عبثاً أن تخلق من هذه الوفاة الطبيعية (جريمة قتل).

- إني لا أحاول أن أخلق يا عزيزي، وأنما أحاول أن أرتب نتائج منطقية على وقائع مادية.. أنسيت المسمار المدقوق في جدار السلم..؟

- وما أدراك أن هذه المسمار كان في موضعه هذا منذ سنوات..

- لأنه جديد لم يمسسه الصدأ.

- ألا يمكن أن يكون لهذا تفسير آخر غير ارتكاب جريمة..؟

- إن كان لديك تفسير للأمر فعجل به يا هاستنج وألقه إلى.

وأعياني أن أجد تعليلاً مقنعاً فلذت بالصمت.

واستطرد بوارو:

- هذا المسمار دق في الجدار بعد أن أوي الجميع إلى أسرتهم، وهذا يحصر دائرة الاتهام فيمن كانوا في البيت: أي الدكتور تانوا وزوجته، وتيريزا اراندل وأخوها شارل، ثم مس لاوسون وايلين والطاهية.

فقلت:

- يمكنك طبعاً أن تستبعد الخدم من نطاق الاتهام.

- ولم استبعدهم وقد أوصت لهم مس ارانديل بشيء من المال.. ثم إن للقتل حوافز أخري: مشاجرة.. حقد.. عدم الأمانة.. إن بواعث الجريمة متعددة لا حصر لها.

- ولكنها جميعاً بواعث مستبعدة.

- قد تكون مستبعدة، ولكنها محتملة، فلماذا نغفلها..؟

فقلت:

- إذن فلديك ثمانية أشخاص محل اشتباه لا سبعة.

- ماذا تعني يا صديقي..؟ من يكون هذا الشخص الثامن..؟

- مس اراندل نفسها.. فما يدريك أنها هي التي شدت الخيط على رأس الدرج متعمدة كي يتعثر فيها شخص آخر من أفراد الأسرة..؟

- هذه منك يا هاستنج فكرة حمقاء، فلو أنها هي التي شدت الخيط لما تعثرت فيه مستهدفة لدق عنقها.

واستطرد بوارو:

- ولا يمكنك أن تزعم أنها نسيت الخيط المشدود، فهناك قرائن أخري تفترض هذه الفكرة.. مثلاً خطابها إلى.. استدعاؤها لمحاميها.. تحرير وصية أخرى حرمت فيها ورثتها الشرعيين لشكها في أنهم هم الذين حاولوا قتلها

بتدبير مكيدة الخط المشدود كل هذا دليل على أن مس اراندل لم تكن هي التي شدت الخيط عبر الدرجات بهدف قتل أحد أقاربها.. وأخيراً ترددها في إرسال الخطاب إلى بعد أن فرغت من تسطيره - إلا إذا كانت قد اعتقدت أن الخطاب أودع البريد فعلاً.. وهو ما أخمن أنه هو الذي حدث.

وقلت أسأله: ما رأيك في موضوع استحضار الأرواح..؟ ألا يحتمل أن تكون الأرواح قد أمرتها بأن توصي بثروتها لمس لاوسون..؟ فانصاعت للأمر.

- هذا لا يتفق مع ما عرفناه عن خلق مس اراندل وطباعها العنيدة وقوة شكيمتها.

فقلت: لقد ذكرت لنا الأختان تريب أن مس لاوسون فوجئت بفحوى الوصية وأصابها الذهول.

- هذا هو ما رددته هي نفسها على أسماعهما، فما يدريك أنها لم تكن كاذبة في هذا الزعم..؟ ومع ذلك فإني لا أستطيع أن أقطع في الأمر برأي حاسم.. أن الحقائق دون سواها هي التي تعنيني.

فسألته: وما هي هذه الحقائق..؟

- أولاً سقوط مس اراندل على السلم.. والذي لاشك فيه أن هذه السقطة كانت مدبرة، ولم تكن قضاء وقدراً.

ثم أردف: والحقيقة الثانية: من الذي يستفيد من موت مس اراندل..؟ وجواب هذا السؤال هو: مس لاوسون.

- ولكن الآخرين كانوا يجهلون أنها حررت وصية جديدة، فيجب أن نعتبر أنهم جميعاً كانوا (مستفيدين) عند وقوع الحادث.

- هذا صحيح يا هاستنج.. ولكن ثمة أمراً آخر يجب إذ لا نغفله، وهو أن مس لاوسون كانت شديدة الحرص على أن لا تعرف مس اراندل أن الكلب بوب قضي ليلته خارج البيت، فلماذا كان هذا الحرص من جانبها..؟

- أتري أن هذه قرينة للاشتباه فيها..؟

فأجاب بوارو:

- كلا، فلعلها فعلت ذلك حرصاً على راحة بال سيدتها حتي لا يزعجها شيء وهي طريحة الفراش.

فقلت في شيء من الحنق والانفعال:

- إذن ما رأيك في القضية..؟

- حتي الآن لا رأي لي.. أني مازلت أصغي بقولي: فحوي خطاب العمة في طريقنا إلى مسكن تيريزا ارآندل بادرت بوارو بقولي:

- بأية أكذوبة ستقدم نفسك إلى المحامي..؟

فأجاب:

- أية أكذوبة يمكن أن تفي بالغرض..؟

فقلت:

- لا أظن، فالمحامون دهاة أذكياء.

- دع الأمر للظروف ولا تشغل بالك بهذا الموضوع.

وطرقنا باب تيريزا ارآندل، ولبثنا في انتظارها بضع دقائق، إلى أن اقبلت علينا أخيراً تتهدي في خطو رشيق.

كانت تبدو في الثامنة والعشرين، وكانت ترتدي ثوباً محزقاً على غاية من الأناقة، يكشف عن مفاتن جسدها الممشوق.

وتأملتنا بنظرة فاحصة، وكانت نظرتها تنم على البرود والاعتداد.. ثم تطلعت إلى بوارو برهة وقالت:

- أحسب أنك مسيو بوارو..؟

فأجاب:

- نعم يا سيدتي، ويؤسفني أن أتطفل على وقتك النفيس.

واستطرد:

- لا ريب أنك سمعت عني.

فقالت:

- إنك فيما اعتقد صديق لاسكوتلانديارد..؟

- إنني يا آنسة رجل اهتم بمشاكل الجريمة.

فعقبت تيريزا في صوت ينم على الملل والسأمة:

- إذن يحسن بي أن أكون على حذر منك.

وتجاهل بوارو نبراتها وقال:

- لقد تلقيت بالأمس خطاباً من عمتك.

فاتسعت عيناها دهشة، ونفثت من بين شفتيها حلقة كثيفة من الدخان وقالت:

- خطاب من عمتي..؟ ولكن عماتي جميعاً أموات يتوسدن الثري.. وآخر عمة لي قضت نحبها منذ شهرين.. أعني مس اميلي اراندل، فهل من المألوف عندك يا مسيو بوارو أن تتلقي الرسائل من الجثث الهامدة..؟

- أحياناً يا آنسة.. نعم.. أحياناً.

- وما الذي ذكرته عمتي اميلي في خطابها..؟

- سأفضي إليك بفحوي الخطاب بعد برهة يا آنسة فإنه يتناول موضوعاً دقيقاً.

فصمتت برهة جذبت خلالها عدة أنفاس من سيجارتها ثم قالت:

- وما دخلي أنا بهذا الخطاب..؟ ما الذي تبغيه مني..؟

- الإجابة عن بعض الأسئلة.

- أي نوع من الأسئلة يا تري..؟

- أسئلة تتصل بشئون الأسرة.

فتساءلت في فتور وازدراء:

- هل لك أن تذكر لي مثالاً لهذه الأسئلة..؟
- بكل تأكيد.. ما هو عنوان أخيك شارل..؟
فضاقت عيناها قليلاً، وانكمشت في نفسها، ثم أجابت:
- أخشي أن أجدني عاجزة عن إشباع فضولك، فإننا لا نتبادل الخطابات إلا قليلاً، وأغلب ظني أنه غادر إنجلترا.
وران علينا الصمت برهة.. فقالت تيريزا:
- أهذا كل ما تريده أن تستفسر عنه..؟
- بل لدي سؤال آخر.. أتراك راضية عن الطريقة التي وزعت بها عمتك ثروتها..؟ والسؤال الثالث هو: منذ متي وأنت مخطوبة للدكتور دونالدسون..؟
فتطلعت إليه في نظرة استخفاف وقالت:
- ردي على أسئلتك هو: ليس هذا من شأنك يا مسيو هيركيول بوارو.
فنهض بوارو واقفاً وهو يقول:
- ما دام هذا هو رأيك، فليس ثمة ما يدعوني إلى البقاء.. هيا بنا يا هاستنج.
وانحني بوارو يحييها منصرفا، وإذ بلغنا الباب جاءنا صوتها قائلاً:
- ارجع يا مسيو بوارو.
وأطاعها بوارو دون تردد، وارتد إلى مقعده، وتطلع إليها مترقباً.
وتكلمت تيريزا أخيراً.. قالت:
- لا داعي لهذه المناورات، ولنتكلم في صراحة.. إنني اعتقد يا مسيو هيركيول بوارو أنك يمكن أن تكون ذا نفع لي.
- حقاً..؟ إن ذلك ليسعدني يا آنسة.. ولكن على أية صورة يمكن أن أكون ذا نفع لك..؟
- بأن تحدثني عن الطريقة التي يمكن بها إلغاء الوصية.
- هذا من شئون المحامين يا آنسة.. المحامي هو الوحيد الذي يستطيع أن

يمحضك نصحاً سليماً مجدياً.

- ولكن المحامين يا مسيو بوارو ذوو ضمائر حية نزيهة، وأنا أريد أن استعين بشخص لا يقيم وزنا للضمير ما دمت على استعداد لأن أدفع.. وأحب أن أؤكد لك أنني على استعداد لأن أدفع.

فتأملها بوارو برهة ثم قال:

- معني هذا أنك ترين أنني رجل لا يقيم وزناً للضمير سأتقاضي الأجر..؟

فارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة وقالت:

- أنك رجل ذكي يا مسيو بوارو، وفي مقدورك أن تهتدي إلى طريقة ما تلغي بها الوصية.

فسألها:

- هل لك أن تذكري لي مثالاً..؟

- هذا من شأنك أنت.. يمكنك مثلاً أن تسرق الوصية وتضع مكانها وصية أخري مزورة.. أو يمكن أن تخطف هذه المرأة لاوسون وتهددها لكي تعترف بأنها خدعت عمتي اميلي وارغمتها على تحرير هذه الوصية أثناء مرضٰ الموت.

فقال بوارو في رقة ووداعة:

- إن لك يا آنسة خيالاً خصباً يبهرني ويذهلني.

فهزت كتفيها في غير اكتراث وقالت:

- ما هو جوابك على اقتراحي..؟ لقد كنت صريحة معك، فإذا كان ردك بالرفض فالباب مفتوح أمامك على مصراعيه.

فقال بوارو: إن رفض الأجور الضخمة ليس من سمتي.

فقالت تيريزا:

- ولكن صديقك هذا يبدو مستنكراً لسلوكك، فهل اساله أن ينتظر في غرفة أخرى حتي نفرغ من حديثنا..؟

فالتفت إلى بوارو وقال في رقة:

- ارجوك يا صديقي أن تتجاوز برهة عن نزاهتك وضميرك الحي وأنت تستمع إلى حديثنا، ولكني أحب أن أؤكد لك يا آنسة أن صديقي رجل كتوم وشديد الإخلاص لي، وعلي أية حال فأرجو أن تكوني على يقين من أن أي شيء أقدم عليه لأجلك لابد أن يكون في نطاق القانون.. وفي القانون كما تعلمين ثغرات كثيرة يمكن أن ينفذ منها الإنسان.

فلاحت على شفتيها ابتسامة خفيفة وقالت:

- إني أعرف أن القانون يمكن أن يتسع لكل نوع من أنواع المؤامرات والألاعيب.

واستطرد بوارو قائلاً: أرجوك أن تدركي يا آنسة إنني رجل أمين على القانون، وأنني حريص على سمعتي أن تلوكها الألسن.

فقالت تيريزا: هذا أمر مفهوم.

فعاد يقول:

- ولكن لكي أقدر خطاي، ولكي يتسني لي أن أتخير الوسيلة الناجحة لإلغاء الوصية يجب أن أقف عن جميع الظروف والحقائق.

- هذا طلب معقول لا غبار عليه.

- إذن أجيبي على أسئلتي دون مواربة.. متي حررت هذه الوصية..؟

- في يوم ١٢ أبريل.

- والوصية السابقة..؟ في أي يوم كتبت..؟

- منذ خمس سنوات تقريباً.

- وما كان فحواها..؟

- لقد أوصت بقدر من المال لايلين والطاهية السابقة، أما الباقي فيوزع بالتساوي بيننا: أعني أنا وشارل وأولاد أخيها توماس وأولاد اختها إرابيلا.

- وهل كانت ثروتها موقوفة لا تنالون منها إلا الربع..؟

- وهل كنتم تعرفون مضمون الوصية السابقة..؟

- نعم.. كنا جميعاً نعرف شروطها، فقد كانت إذا سألها أحد منا قرضاً ترفض سؤاله قائلة: حسبك أن ثروتي ستؤول إليك بعد وفاتي.

- وثروتك من أبيك..؟ أمازلت محتفظة بها..؟

- مازلت لدي بقية منها، أما شارل فبدد كل ما آل إليه.. لقد ورث كل منا ثلاثين ألف جنيه، ولكن ولعي بالثياب الأنيقة كاد أن يقضي عليها وهذا يذكرني بشيء.. أنك لن تتقاضي أجرك إلا طبقاً للنتائج التي تتحقق على يديك.

وساد السكوت برهة ثم سألها:

- ثمة شيء آخر أريد أن أعرفه.. هل تتعاطين المخدرات..؟

- كلا، ولكني مسرفة في الشراب.

- والعلاقات الغرامية..؟

فقالت دون حياء أو تردد:

- إن حياتي حافلة بالتجارب.. في الماضي طبعاً.

- وفي الوقت الحاضر..؟

- ريكس فقط.. أعني الدكتور دونالدسون.

- ولكنه رجل متزمت منصرف إلى عمله، ولا تطيب له الحياة التي تعيشينها، فكيف أحببته..؟ ما هو سبب تعلقك به..؟

وكان رد تيريزا:

- وهل ثمة سبب لوقوع جولييت في غرام روميو..؟ إن الحب لا يعرف أسباباً.

- ولكن الدكتور دونالدسون يا آنسة رجل فقير، ودخله لا يفي بثمن ثيابك.. بل إنه مفلس في عوز شديد إلى المال للقيام بتجاربه العلمية، فهل أحبك لأنه

كان يتوقع أن ترثي عن عمتك ثروة ضخمة..؟ والآن وقد آلت الثروة إلى مس لاوسون فهل مازلتما خطيبين..؟

- أحب أن أوكد لك يا مسيو بوارو أن علاقتنا لم تتأثر.. وبهذه المناسبة هل التقيت به يا تري.

- نعم.. لقد قابلته بالأمس لأستفسر منه عن عنوان شارل.

فعلا صوتها في نبرة حادة: وما الذي تبغيه من شارل..؟

وجاءنا من خارج الغرفة صوت مرح يقول:

- من هذا الذي سأل عن شارل.

وفي فجوة الباب بدأ شاب وسيم رشيق القوام.. تطلع إلينا الشاب بنظرة متألقة وقال: هآنذا شارل، فما الذي تبغون مني..؟

***

مجموعة اجاثا كريستي

الرمحي أحمد

اللقـــــاء

يجب أن اعترف بأنه منذ اللحظة التي وقعت فيها عيناي علي شارل ارادل تبينت في وجهه سمات النصابين والمحتالين.

دخل إلي الحجرة في خطو مرح، واستوي جالساً على مسند أحد الكراسي الفوتيلات وقال:

- من يكون هؤلاء الضيوف أيتها الأخت الحبيبة..؟

- هذا هو مسيو هير كيول بوارو، وهو على استعداد بأن يؤدي لصالحنا مهمة (قذرة) مقابل قدر من المال.

فصاح بوارو محتجاً:

- إني أعترض.. إنها ليست مهمة قذرة، ولكنها مجرد خدعة نحقق بها النوايا الأصلية للمرحومة عمتك.

فقال شارل:

- فلنطلق عليها إذن هذا الوصف، ولكن ما الذي جعل تيريزا تفكر في استدعائك والاستعانة بك..؟

- إنها لم تستدعني، فأنا الذي حضرت من تلقاء نفسي.

- لتقدم إلينا خدماتك..؟

- كلا.. وإنما سعياً إلى لقائك، ولكنك ابلغتني أنك متغيب خارج البلاد.

فضحك شارل وقال في مرح:

- إن هذه الأخت الصغيرة شديدة الحرص، وولوعة بأن تبسط على

حمايتها، فهي تعرف أنك بارع في اقتناص كبار المجرمين.

فرمقته تيريزا بنظرة حانقة وهي تقول:

- ولكننا لسنا مجرمين يا شارل.

- هذا صحيح، غير أننا على استعداد لاقتراف الجرائم، إنني مولع بالتزوير كما تعلمين، وقد طردت من جامعة اكسفورد لأنني زورت شيكاً.. كان هذا طبعاً على أيام الشباب، أما في العهد الأخير فقد كنت أتمني أن أدس السم لعمتي حتي تقضي نحبها وتؤول إليّ ثروتها، ولو أن ايلين هددتني بأن تشي بي لبادرت إلى الاقتران بها، فشهادة الزوجة ضد زوجها لا يؤخذ بها في المحاكم، وإني على استعداد اليوم لأن أخنق مس لاوسون حتي تعود إليّ ثروة عمتي.

ثم أطلق ضحكة مرة وقال:

- تري هل لديك جهاز تسجيل في كم سترتك تسجل به هذه الاعترافات حتى تبعث بي إلى المشنقة..؟

فقال بوارو يجاريه في مرحه:

- بل إني على النقيض أريد أن أعاونك فيما تبغي دون أن أقحمك في الوقوع تحت طائلة القانون.

- لاشك أنك خبير بما في القانون من ثغرات، ولذلك أعتقد أن في وسعي أن أركن إليك.

وقال بوارو:

- والآن فلندخل في الموضوع.. من هم شهود الوصية الجديدة..؟ أعني الوصية المحررة يوم ١٢ أبريل.

- لقد حضر مستر بيرفيس المحامي ومعه كاتبه، أما الشاهد الثاني فكان البستاني.

- إذن فقد تم توقيع الوصية في حضور مستر بيرفيس.

وانبرت تيريزا تقول:

- لقد كان غير راض عن شروطها، وحاول أن يثني عنها عمتي ولكنها أصرت وتشبثت.

فسألها شارل في حدة:

- أهو الذي اخبرك بذلك يا تيريزا..؟

- نعم.. فقد ذهبت بالأمس لزيارته مرة أخري.

وقال بوارو:

- هل لكما أن تسردا عليّ كل ما لديكما من معلومات عن الأسابيع الأخيرة السابقة لوفاة مس اراندل..؟ لقد فهمت أنكم كنتم في زيارتها بمناسبة عيد الفصح.. أعني أنت واختك والدكتور تانوا وزوجته، فهل وقع خلال عطلة الأسبوع ما استرعي بصركما..؟

فانبرت تيريزا تجيب:

- لا أظن.. كلا، لم يحدث شيء.

فتحول إليها أخوها قائلاً في نبرة من التهكم:

- إنك غارقة في الحب يا عزيزتي، فلا شيء مهما كان جسيماً يمكن أن يسترعي بصرك أو ينتزعك من ذهولك الغرامي.

ثم استدار إلى بوارو متابعاً الحديث:

- إن تيريزا يا عزيزي مسيو بوارو مولعة غراماً بشاب تافه يعمل طبيباً في ماركيت بيسنج.. نعم.. لقد وقع حادث خطير خلال عطلة الأسبوع.. لقد تعثرت عمتي فانزلقت قدمها وتدحرجت على الدرجات، ولسوء الحظ أن عنقها لم تدق.

- ولكن كيف تعثرت قدمها..؟

- لقد داست على كرة الكلب بوب في ظلمة الليل.

- ومتي حدث ذلك..؟

ففكر شارل ثم أجاب:

- مساء الثلاثاء.. اليوم السابق لسفرنا.. أي يوم ١٥ أبريل.

- وهل كانت اصابات عمتك بليغة..؟

- كلا لسوء الحظ، فلو أنها قضت نحبها في تلك الليلة لكانت وصيتها القديمة هي السارية.

- ومتي زرت عمتك مرة أخري..؟

- في عطلة الأسبوع الأخير من الشهر.

فقال بوارو:

- أي يوم ٢٥ أبريل.

- أظن ذلك.

- ومتي توفيت عمتك..؟

- في يوم الجمعة التالي، أي يوم أول مايو، فقد مرضت قبل ذلك بأيام قليلة، أي يوم الاثنين السابق لوفاتها.

- وهل عدتها أثناء مرضها..؟

- كلا، إذ لم نكن نعلم أن حالتها سيئة إلى هذا الحد، فلما بلغنا الأمر، حضرنا على الفور وصلنا وأختي معي بعد أن قضت نحبها.

واستطرد بوارو في توجيه أسئلته قائلاً:

- ألم تشر مس ارانديل أثناء زيارتكما السابقة لوفاتها إلى الوصية الجديدة بكلمة..؟

وأجابت تيريزا: كلا.. لم تتحدث عنها إطلاقاً.

وفي نفس اللحظة التي انفرجت فيها شفتاها عن هذه الكلمات كان أخوها شارل يجيب بقوله:

- نعم.. لقد اشارت إليها.

وهتفت به تيريزا: شارل..!

ورد عليها شارل وهو يتحاشي أن تلتقي عيناه بعينها:

- إنك طبعاً تذكرين ما حدث.. لقد رويت لك ما جري بيني وبينها.. لقد تحدثت إلى العمة اميلي عن الوصية الجديدة بأسلوب من يقدم انذاراً نهائياً.. كانت جالسة في مقعدها الكبير في قاعة الاستقبال رافعة الرأس كأنها ملكة على عرشها، وقالت لي إنها ضاقت بأقاربها جميعاً، وأوضحت أنها بذلك تعنيني وتعني أختي تيريزا، أما بيلا فليس لديها ما تأخذه عليها، وإن كانت لا تثق بزوجها اليوناني، فهو رجل طماع جشع لا شك أنه سيستولي على ثروة بيلا عندما ترثها، وانهت كلامها بقولها إنها حررت وصية جديدة وتركت ثروتها كلها لمس لاوسون لأنها الوحيدة المخلصة لها المتفانية في خدمتها، وإن كانت غبية حمقاء.

وقالت تيريزا تسأل أخاها:

- لما لم تحدثني عن هذا يا شارل..؟

فأجاب وهو مازال يتحاشي أن يلاقي عينيها:

- بل ذكرت لك كل هذا.

وسأله بوارو:

- وماذا كان ردك على مس اراندل..؟

وأجاب شارل:

- لقد ضحكت عندما سمعتها تقول ذلك، وقلت لها: (كما تشاءين يا عمتي اميلي.. لاشك أن هذا صدمة لي، ولكن المال مالك، وأنت حرة تتصرفين فيه كما تشاءين).. كان هذا هو ردي، فالخشونة لا تجدي ولا تفيد شيئاً في مثل هذه الظروف.

- وماذا كان رد الفعل عند عمتك..؟

- أبدت رضاءها على سلوكي بأن نقدتني عشرة جنيهات.

- إذن فقد عرفت كيف تكتم مشاعرك.

- الواقع أنني لم أحمل كلامها على محمل الجد.. لقد اخذته على أنه

مجرد تهديد فارغ، وأنها لن تلبث بعد شهرين أو ثلاثة أن تمزق الوصية، ولكن المنية عاجلتها لسوء الحظ.

ران علينا الصمت برهة، ثم قال بوارو متسائلاً:

- أمن المحتمل أن تكون مس لاوسون قد سمعت هذا الحديث عرضا؟

- هذا جائز، فالحديث بيننا لم يكن يجري بصوت خافت، ومن عادة لاوسون أن تحوم هنا وهناك وأن تسترق السمع دائماً.

وتحول بوارو إلى تيريزا يسألها:

- وأنت..؟ ألم تعرفي بما دار بين أخيك وبين العمة اميلي..؟

وقبل أن تجيب انبري شارل يقول:

- أني واثق أيها الأخت العزيزة من أنني أفضيت إليك بكل هذا.

وساد صمت قصير أجابت بعدة تيريزا بقولها:

- لو أنك اخبرتني لما نسيت قطعاً.

والتفت بوارو إلى شارل قائلاً:

- إني أحب أن أجلو نقطة مهمة: هل قالت لك مس ارانديل أنها تنوي أن تغير وصيتها، أم قالت إنها غيرتها فعلاً..؟

وكان جواب شارل:

- قالت إنها غيرتها فعلاً. أني واثق من هذا. بل الواقع أنها أرتها لي.

واتسعت حدقتا بوارو دهشة وقال:

- ماذا تقول..؟ هل أرتك الوصية فعلاً..؟

- نعم.. وأني لأقسم على هذا.. ولكن أية أهمية لهذا..؟

وتململت تيريزا في مقعدها، وأطفأت سيجارتها في عصبية.

واستدار إليها بوارو فجأة وسألها:

- وأنت يا آنسة..؟ ألم تحدثك عمتك أثناء عطلة الأسبوع عن شيء ذي أهمية..؟

- كلا.. كل ما هنالك أنها نصحتني بأن أغير أسلوب حياتي.
- أكان خطيبك معك أثناء عطلة الأسبوع السابقة لوفاتها..؟
- كلا، فقد كان متغيباً يحضر أحد المؤتمرات، ولكنه زارنا في الليلة السابقة لسفرنا وتناول معنا العشاء.
- ألم يحدث بينكما خلاف أثناء هذا اللقاء..؟
- كلا.. بل كنا على وئام تام.

ونهض بوارو منصرفاً، وتبادل التحية مع شارل وأخته، وغادرنا الغرفة.

بيد أنه تريث برهة في البهو، ثم ارتد ثانية إلى باب القاعة وهو يختلس الخطي، والصق أذنيه بالباب يسترق السمع.

وجاء صوت تيريزا وهي تقول لأخيها في حنق وغضب:

- يا لك من أحمق مجنون..!

وما تناهت إلى أذني بوارو هذه الكلمات حتي انسحب مسرعاً وغادر البيت قبل أن يشعر أحد أنه كان يتجسس وراء الأبواب.



النقود المختفية

إذا كان مسكن مس تيريزا ارانـدل ينم على الأناقة والذوق الرفيع، فقد كان مسكن مس لاوسون عنوانا للفوضى والإهمال.

إذ كان الأثاث مكدسا فيه بغير تنسيق، يزحم بعضه بعضا ويتلاصق، حتى لتجد مشقة في أن تجد لنفسك طريقا بين أكوامه المرصوصة.

ولم يفتعل هير كيول بوارو اسما، وإنما قدم إليها نفسه باسمه الحقيقي، وإن لم يشر إلى أنه شرطي سري.

وقال:

- لقد ذهبت بالأمس لمشاهدة فيللا ليتل جرين متذرعا بأنني أرغب في شرائها. ولكن تلك في الواقع حجة كاذبة، فإني سأصارحك بالحقيقة شريطة أن يظل الأمر سرا بيني وبينك.

وحملقت فيه مس لاوسون بعينين متماسلين.

واستطرد بوارو:

- لست أدري أن كنت تعرفين أولا تعرفين أن مس اراندل كتبت إليَّ خطابا قبل وفاتها بأيام قليلة.

وأمسك هنيهة عن الحديث، ثم أردف:

- إنني يا مس لاوسون شرطي سري من المشهورين.

وغشي وجهها وهي تستمع إلى هذه الكلمات تضرج شديد الاحمرار، لا أدري

إلى أي شيء أعزوه: إلى الفرع، أو الدهشة أو الحيرة.

وبعد سكتة قصيرة مضت تردد:

- حقاً..؟ حقاً..؟

ثم تمالكت جأشها وأنشأت تسأله:

- أكان خطابها بشأن النقود..؟

وأخذه سؤالها على غرة، ولكنه كان من الدهاء بحيث قال على مهل:

- لعلك تعنين يا مس لاوسون النقود التي.

وامسك وتركها هي تتم عبارته، فقالت:

- نعم.. النقود التي أختفت من درج المكتب.

- أما أخبرتك مس أراندل أنها كتبت إلى بشأن هذه النقود.

فأجابت:

- كلا.. أنها لم تصارحني عن هذا.

فسألها:

- أكانت لديها فكرة يا ترى عمن أخذ هذه النقود..؟

- طبعا.. فقد كانت تعتقد عن يقين أن..

وبترت عبارتها، ولم تفصح عن اسم السارق، بيد أنها ما لبثت أن أردفت:

- إنها كانت تري دون شك أن هذا الحادث "مسألة عائلية" يجب أن يحوطها الكتمان.

فقال بوارو:

- لعلك قد أدركت أنني شرطي خاص يمكن أن يفضي الناس إليّ بأسرارهم العائلية مطمئنين.

- طبعا.. طبعا.. فأنت لست شرطياً رسمياً.

ومضت تقول:

- كانت شكوكها متجهة إلى مستر شارل، أذ كانت له من قبل "حوادث"

مماثلة.. أحيانا يحرر شيكات بغير رصيد، وأحيانا يزور بعض الشيكات، وكانت عمته هي التي تخف إلى نجدته وتنتشله من ورطته.

وسألها بوارو:

- وكيف حدثت هذه السرقة..؟

- كان في درج مكتبها مبلغ من المال لدفع أجور الخدم وعمال المزرعة، ففوجئت مس اراندل باختفاء خمسة جنيهات وثلاثة شلنات.

- الا يجوز أن يكون أحد الخدم هو الذي.

- كلا.. كلا.. فهم على غاية من الأمانة، وقد أمضوا جميعا سنوات في خدمتها دون أن يقع شيء من هذا القبيل. ولكن هذه السرقة وقعت أثناء وجود مستر شارل وأقاربها الاخرين في عطلة عيد الفصح.

فتساءل بوارو:

- والآخرين..؟ لم لم ترتب فيهم مس اراندل..؟

- من المستحيل أن تقدم بيلا أو زوجها الدكتور تانوا على شيء من هذا.. إنها فتاة طيبة وأن كانت خاضعة مستسلمة لزوجها، فلو أنه أمرها أن تقتل إنسانا لما ترددت. وتيريزا لا تحفل بشيء من هذا. أما مستر شارل.. نعم.. أنه لابد أن يكون مستر شارل هو الذي أخذ الجنيهات الخمسة وثلاثة شلنات.

وبعد فترة وجيزة من الصمت قال بوارو:

- إنني أعرف أنك كنت محل ثقة مس اراندل، ولا شك أنها كانت تقضي إليك بدخيلة نفسها، فهل صارحتك بالأسباب التي حدت بها إلى تغيير وصيتها..؟ لقد حررت وصية جديدة قبيل وفاتها تركت لك بمقتضاها كل ثروتها.

وأجابت مس لاوسون في كلمات متلعثمة:

هذا صحيح، ولكني لم أكن أعرف عن هذه الوصية شيئا على الإطلاق.. لقد كان مضمونها مفاجأة شديدة الوقوع عليّ: وعندما تلاها علينا مستر بيرفيس

ذهلت، ولم أدر هل أضحك أم أبكي.. نعم.. كانت الوصية مفاجأة مذهلة لي، خاصة أنني لم أمض في خدمتها إلا سنوات قليلة.. إنني حقيقة كنت متفانية في خدمتها، ولكني كنت أشعر بوجه عام أنها غير راضية عن عملي، إذ كانت دائما تؤنبني وتزجرني.. ولم أكن القي منها عادة معاملة كريمة. الواقع يا مسيو بوارو أنني وأنا أتلقي هذه الثروة داخلني شعور قوي بأنني لا أستحقها.

فرماها بوارو بنظرة عميقة متفتحة وسألها:

- أمعني هذا أنك تنوين أن ترفضيها وأن تعيديها إلى أصحابها الشرعيين..؟

ولم تفتن اختلاجه عينيها عند هذا السؤال.

وأجابت:

- لا أحسب أنني سأفعل ذلك.. لقد أرادت مس ارانـدل أن تخصني بأموالها، ومشيئة الاموات يجب أن تحترم.. إن الدين يأمرنا بهذا.

- وأنت طبعا امرأة متدينة يا مس لاوسون..؟

- طبعا.. ثم أنها كانت تخشي أن يستولي هذا الرجل على أموالها.

فتساءل بوارو:

- أي رجل تعنين..؟

- الدكتور تابوا.. زوج مس بيلا.. إنه رجل جشع، وضع يده على ثروة بيلا وبددها في المضاربات، وكانت مس ارانـدل لا تثق فيه إطلاقا.

- والآخرون..؟ أعني تيريزا وشارل..؟

ألم يكن مثيرا لنقمتهم أن لا ينالوا شيئا من ثروة عمتهم..؟

- هذا صحيح.. ولكن لدي تيريزا من المال ما يكفيها، وهي فتاة طائشة تبدد دخلها على الثياب والسهرات، وليست بها من حاجة الى مال جديد.. حسبها ما لديها.

- وأخوها شارل..؟ ما رأيك فيه..؟

- إن شارل لا يستحق بنسا واحدا.. إنه شاب عربيد متلاف. ثم كيف توصي

له مس اراندل بشيء من مالها بعد أن هددها..؟

- هددها..؟ أي نوع من التهديد..؟ ومتي كان ذلك..؟

- في عطلة عيد الفصح.. مساء الأحد بالذات.. طبعا لم أكن أتجسس أو أحاول أن أسترق السمع، ولكن الأمر جاء صدفة إلى أذني.

- وما الذي سمعته إذ ذاك..؟

- لقد طلب منها نقودا فأبت، فقال لها إنه لبس من الحكمة أن ترفض سؤاله، فإنها إن استمرت على معاملته بهذا الأسلوب فإنه.. آه.. كان هذا هو نص كلماته: أن أستمرت على ذلك فسوف "يزيحها" من الطريق.. نعم.. كان هذا هو ما قاله بالحرف الواحد.

فسألها بوارو:

- وبم أجابت مس اراندل على هذا التهديد..؟

- لقد ردت بقولها: "سوف تري عندئذ يا شارل أنني أعرف كيف أحمي نفسي".

- وهل سكت شارل أم رد عليها..؟

- لقد قال لها: "لا تكوني شديدة الثقة بنفسك يا عمتي".

وعاد بوارو يتابع أسئلته بأن قال لها:

- إنك كنت تعرفين طبعا أن مس اراندال ستحرر وصية جديدة..؟

- كلا.. كلا.. لم تكن لدي أية فكرة عن هذا.. ألم أخبرك بهذا من قبل.؟

- أخبرتني أنك كنت تجهلين مضمون الوصية، ولكني أسألك عما ذلك إذا كنت تعرفين أن مس اراندال كانت بسبيل تحرير وصية جديدة.

- بغض النظر عن فحواها.

فأجابت مس لاوسون:

- لقد "استنتجت" أنها تنوي أن تكتب وصية جديدة، وذلك عندما بعثت تستدعي محاميها عقب سقوطها على السلم عندما داست فوق كرة بوب.

- يا له من حادث رهيب..!
- نعم.. فقد كان من المحتمل أن تدق عنقها.
وعاد بوارو يسألها:
- أتظنين أن من المحتمل أن هذه السقطة أثرت على مس اراندل فجعلتها تغير الوصية..؟
- ربما.. لعل هذه السقطة ذكرتها بأن المنية وشيكة وأنها قد تقع فجأة.
- ولكنها كانت في صحة جيدة، أليس كذلك..؟
- نعم.. وقد نزل بها مرضها الأخير فجأة.. وقد روعنا الأمر ففي تلك الليلة كان لدينا بعض السيدات.
فقاطعها بوارو:
-تعنين الأختين ترتب..؟
- نعم.. وهما سيدتان لطيفتان، وتؤمنان باستحضار الأرواح.
ثم أردفت:
- هل تصدق يا سيدي أن روح أمي تحدثت إلى..؟
- أكانت مس اراندل مؤمنة مثلك بالأرواح..؟
- أحيانا تنكرها، وأحيانا تؤمن بها. ولكن في ذلك المساء الذي مرضت فيه وجهت الأرواح رسالة إلى مس اراندال.. وقد ثبت لي في تلك الليلة أن مس اراندل نفسها تصلح وسيطة..
- حقا..؟ ومن أين جاءك هذا اليقين..؟
- لقد رأينا حول رأسها هالة من النور، ولكن مما يؤسف له أنها مرضت فجأة أثناء ذلك فانقطع الأتصال الروحاني، وشغلنا بمرضها فانفضت الجلسة.
تساءل بوارو:
- وهل استدعيتم طبيبا..؟

- كان هذا أول شيء فعلته في صباح اليوم التالي.
- وماذا كان رأيه..؟ هل رأي الأمر خطيرا..؟
-لقد بعثت اليها في المساء بإحدي ممرضات المستشفي لتقوم على رعايتها، ولكنه كان يعتقد أنها سوف تشفي.
- وهل أخطرتم أقاربها بمرضها..؟
- لقد أخطرناهم عندما قرر الدكتور جرينجر أن حالتها خطيرة.
- وما السبب في إصابتها بهذه النوبة..؟ أتراها تناولت شيئا..؟
- لا أظن، فقد كانت حريصة على اتباع نظام غذائي معين، وقد عزا الدكتور جرينجر مرضها إلى أصابتها ببرد شديد.
- وهل زار شارل وأخته تيريزا عمتها في عطلة الأسبوع السابق لموتها..؟
فزمت مس لاوسون شفتيها في امتعاض وقالت:
- زاراها طبعا، ولكن نيتهما لم تكن لتخفي على مس اراندل.
- فأجابت في اقتضاب:
- المال طبعا.. أن مستر شارل لا يزور عمته إلا ليسألها مالا. ولكنهما لم يظفرا منها بشيء أثناء هذه الزيارة.
فقال بوارو:
- ودكتور تانوا..؟ أحسبه هو الآخر كا يسعي وراء مالها..؟
- إنه لم يزر العمة أميلي في هذه العطلة، وإنما جاء يوم الأحد السابق، ولم يمكث الا ساعة واحدة.
وسألها بوارو:
- أكانت مس اراندل تحتفظ بالوصية الجديدة في البيت..؟
- لا أعلم.
- ومن هو المشرف على تنفيذ الوصية..؟

- محاميها.. مستر بيرفيس.

- وهل جاء بعد وفاتها وفحص أوراقها..؟

- نعم.. لقد فعل هذا.

وتأملها بوارو بنظرة فاحصة وسألها:

- تري هل تميلين إلى مستر بيرفيس..؟

فضاقت عيناها وأجابت:

- سؤال من العسير الإجابة عليه.. إنه دائما رجل مهذب يحسن انتقاء عباراته، ولكني لم أكن أميل إليه كثيرا، إذ كنت أشعر أن سلوكه المهذب قناع يستتر به خشونته.

وإذ فرغ بوارو من أسئلته نهض واقفا وأستأذن في الانصراف.

وعند الباب استدار اليها قائلا:

- هذا شئ ينبغي أن تعرفيه يا مس لاوسون.

فتطلعت إليه مستفسرة فاستطرد:

إن شارل وأخته تيريزا يحاولان أن يلغيا الوصية.

فتضرج وجهها احمرارا وهتفت في صوت حاد:

- إنهما لن يستطيعا أن يفعلا ذلك.. هذا هو ما قاله لي المحامي الذي استشرته.

- إذن فقد استشرت محاميا..؟

- ولم لا..؟ أليس من الطبيعي أن أفعل هذا..؟

- طبعا.. طبعا.. بل إنك أحسنت صنعا باستشارتك أحد المحامين.

وفي الطريق التفت إلى بوارو قائلا:

- هذه المرأة إما أن تكون صادقة وإما أن تكون ممثلة بارعة.



مس لاوسون

انطلقا بعد هذا بسيارتنا الاوستن الصغيرة إلى فندق دور هام لمقابلة بيلا، أي مستر تانو!. وابتدرها بوارو قائلا إنه قادم إليها من قبل ابنة خالها تيريزا.
واستوينا جالسين على أريكة في ركن الغرفة، ولبثت تتطلع إلى بوارو مترقبة ما سوف يقول:

وأنشأ بوارو يقول لها:
- إنك تعلمين طبعا أن المرحومة عمتك حررت قبيل وفاتها وصية جديدة حرمت بمقتضاها أقرباءها من إرثها، وأوصت بكل شيء لمس لاوسون، ولكن لعلك لا تعلمين أن مس تيريزا وأخاها مستر شارل ينويان الطعن في الوصية سعيا إلى إلغائها.
فأخذت مستر تانوا نفسا عميقا وقالت:
- ولكني أعتقد أن هذا مستحيل.. أعني أن زوجي استشار محاميا، وكان رأيه أن الغاء الوصية لا أمل فيه.
فقال بوارو: إن رأي المحامين ليس قاطعا دائما وكثيرا ما تصدر المحاكم أحكاما على نقيض ما يتوقع الناس. ولهذا ينوي مستر شارل وأخته أن يناضلا في سبيل إلغائها إلى آخر مرحلة، فما عسي يكون موقفك أنت..؟
فبدا عليها الارتباك، وأخذت تلوي أصابعها في حيرة، ثم قالت:
- ولكن ما هو رأيك الشخصي..؟
- إني شخصيا لا أحبذ هذا الإتجاه.. إذا كان هذا هو ما رأته العمة اميلي في

شأن توزيع ثروتها، فليس لنا أن نخلف مشيئتها.

- ولكن ألم يضايقك ما حدث..؟

- ضايقني طبعا، بل أحزنني إلى أقصى حد، فهذا منها تصرف غير عادل ومجرد من الإنصاف.. لقد ظلمتنا جميعا وظلمت أولادي.. كما أنني لم أكن أتوقع منها هذا.

- أتعنين أن تصرفها كان شاذا لا يتفق مع طبيعة خلقها..؟ أتظنين أنها كانت مغلوبة على إرادتها وواقعة تحت تأثير أفسد عليها حرية التصرف..؟

فقطبت مسز نانوا جبينها وقالت:

- ولكن عهدي بعمتي أنها عنيدة الرأي قوية الشكيمة، ولا يمكن أن تنصاع لرأي غيرها.

فقال بوارو:

- ومس لاوسون نفسها ذات شخصية ضعيفة، ولا يمكن أن تخضع عمتك لرغبتها.

- هذا صحيح، فمس لاوسون امرأة بسيطة، بل إنها حمقاء غبية، لا يمكن أن أتصور أن في مقدورها أن تدبر مؤامرة.

فعقب بوارو: إني متفق معك في هذا الرأي يا مسز تانوا.

- ولهذا أعتقد أن من العبث محاولة الغاء الوصية، فضلا عما يقتضيه ذلك من نفقات باهظة.

فسألها:

- ترى أن سبباً خفياً كان هو الحافز إلى تغيير الوصية القديمة..؟

- لا أدري.. لست لدي أدني فكرة.

وقال لها بوارو: إنني لم أذكر لك مهنتي يا مسز تانوا، وأنت لم تسأليني..! إنني شرطي سري خاص، وقبل أن تقضي مسز اراندل نحبها كتبت إليَّ خطابا.

فقالت مسز تانوا في نبرة من الاضطراب:

- أكان خطابها بشأن زوجي..؟
- اسف يا سيدتي، فلست في حل من أن أصارحك بفحوي الخطاب.
فقالت في ارتباك:
- إذن فالخطاب لابد أن يكون بشأن زوجي.. ولكني أحب أن أؤكد لك يا مسيو بوارو أنه إذا كان قد ورد في الخطاب شيء عن زوجي فهو مجرد أكاذيب وافتراءات.
وسألها بوارو:
- هل ذكرت لك مس ارانڍل في زيارتك الأخيرة لها أنها حررت وصية جديدة؟
- كلا.. إنها لم تحدثني عن هذا إطلاقا.
- وهل كان سلوكها حيالك أثناء هذه الزيارة عاديا كالمألوف..؟
وبعد سكتة قصيرة أجابت:
كان سلوكها كمألوف عادتها معي.
وكنت على يقين أنا وبوارو في هذه اللحظة من أنها كانت تكذب.
ثم أردفت: نعم.. كانت لطيفة معي حتي إنها أهدتني دبوسا من اللآلئ، وقدمت إلى جنيها لأولادي.
- وبالنسبة إلى زوجك.. أتغير سلوكها حياله.؟
- ولم يتغير..؟ إنه لم يسئ إليها إطلاقا.. وذلك بالرغم من أن تيريزا وأخاها كان يحاولان دائما تسميم أفكارها ضده.
ولكنها ما لبثت أن أردفت في ارتباك:
- بل إنك على حق.. نعم.. لقد تغير مسلكها إزاء زوجي فقد ذكرت الآن ما غاب عني وذلك أن خالتي أصيبت بعسر هضم، فذهب زوجي إلى الصيدلية وجهز لها الدواء بنفسه، فشكرته، ولكني لاحظت أنها لم تتناوله، بل إنها أفرغته في البالوعة.
وسمعنا وقع أقدام في الردهة فقالت مسز تانوا:
- آه.. ها هو زوجي وابننا ادوارد قد رجعا من الخارج.

تيريزا

أقبل الدكتور تانوا على زوجته يحييها في ابتسامة مشرقة، وهرع ابنها الأصغر الآخر الذي يبلغ السابعة إلي أخيه الأكبر إدوارد يستفسر منه عما فعل أثناء جولته مع الأب.

وما أن سمع الدكتور تانوا اسم هيركيول بوارو وزوجته تقوم بمهمة التعارف حتي بدت بوادر الاهتمام في قسمات وجهه وقال:

- هل أنت مسيو هيركيول بوارو الشرطي السري الشهير..؟ ما الذي دعاك إلى زيارتنا يا سيدي..؟

- إنني جئت لأمر يتعلق بالمرحومة مس اميلي ارانديل.

- حقا..؟ وما عسي يكون هذا يا تري..؟

وانبرت زوجته تجيب:

- إنه جاء بشأن الوصية يا عزيزي وذلك عقب اجتماعه بتريزا.

فقال:

- آه..! الوصية..! يالها من وصية مجحفة..! ومع ذلك فليس من شأني.. تلك أمور عائلية ليس لي أن أتدخل فيها.

وسرد عليه بوارو في إيجاز مجملا للحديث الذي دار بينه وبين تيريزا وشارل، وركز بصفة خاصة على رغبتهما في السعي إلى إلغاء الوصية.

وقال الدكتور تانوا معقبا في حماس:

- إنني من هذا الرأي أيضا يا مسيو بوارو.. بيد إني استطلعت رأى أحد المحامين

فكان أن نصحني بالعدول عن التفكير في إلغائها إذ كان من رأيه أنها قضية خاسرة.

فقال بوارو: إن آراء المحامين قد تختلف بصدد موضوع واحد. أما أنا فأرى السير في الدعوى، فما رأيك أنت يا تري..؟

فاطلق الدكتور تانوا ضحكة مرحة وقال:

-أني أشاطرك رأيك يا سيدي.. إني أميل دائما إلى المخاطرة، فليس هذا هو دأبي دائما يا بيلا..؟

ثم تحول إلى بوارو قائلا:

- إني لست محاميا، ولكني أعتقد أن مس اراندل حين حررت هذه الوصية لم تكن في كامل وعيها.. إنها لم تكن مسؤولة عما تفعل، فهذه المرأة لاوسون ماكرة خبيثة.

وتململت مسز تانوا في مقعدها، فقال لها بوارو.

- أري يا سيدتي إنك لا تقرين هذا الرأي.

فقال في شيء من الإحجام والتردد:

- إنها امرأة ودودة عطوفة، وما توسمت فيها شيئا من الخبث.

لقد كانت عطوفا عليك، لأنها لم تكن تخشي شرا من جانبك، فإن من السهل التأثير عليك وخداعك. إنك سهلة الإنقياد يا عزيزتي.

وتضرج وجه الزوجة الطيبة أحمرارا.

وإستطرد الدكتور تانوا:

- أما حيالي فقد كان سلوكها مختلفا.. إنها لم تكن تحبني أو تميل إليّ وما حاولت أبدا أن تخفي مشاعرها تجاهي. في الليلة التي وقعت فيها مس اراندل على السلم أبديت رغبتي في أن أرجع في الأسبوع التالي لاطمئن عليها، ولكن مس لاوسون إعترضت على رغبتي، وبذلت كل جهد لتحول دون قدومي. ولكني لم أحفل باعتراضها، السبب واضح طبع.. إنها تريد أن تبعد الجميع عن السيدة العجوز وأن تفرض عليها حصارا لا يتخطاه أحد سواها.

وتحول بوارو إليّ الزوجة للمرة الثانية يسألها:

- ما رأيك في هذا يا سيدتي..؟

وانبري الدكتور تانوا يتكلم دون أن يفسح لزوجته مجالا للرد.

قال: إن بيلا سليمة النية، تكره أن تسيء الظن بمخلوق. وثمة شيء آخر يجب أن أصارحك به يا مسيو بوارو.. إن مس لاوسون كانت تتسلط على المرأة العجوز بواسطة الأرواح.

- وهل تؤمن أنت بالأرواح يا سيدي..؟

إن من السهل خداع العجائز المسنات، فلابد أن مس اراندل تلقت رسالة من الأرواح.. من أبيها مثلا.. لعله طلب اليها أن توصي بثروتها لهذه الماكرة الخبيثة.

وقال بوارو:

- وما رأيك أنت في هذا يا مسز تانوا..؟

فالتفت إليها زوجها وقال يستحثها:

- تكلمي يا بيلا.. افصحي لنا عن رأيك.

فأجابت في تخاذل:

- إني لا أعرف عن المسائل الروحانية إلا القليل.. فلا بد إنك على صواب يا عزيزي.

وسأله بوارو:

- لقد علمت إنك ذهبت إلى فيللا ليتل جرين في عطلة الأسبوع السابقة مباشرة على وفاة مس اراندل.

فأجاب في نبرات سريعة:

- هذا صحيح.. فقد ذهبنا جميعا في عطلة "عيد الفصح" ثم مرة أخرى في العطلة التالية.

فقال بوارو:

- كلا..كلا.. إني لا أسألك عن هذا.. وإنما أسألك عن العطلة الثالثة حين

ذهبت وحدك تزور العمة اراندل.

فتطلعت مسز تانوا في دهشة إلى زوجها وقالت:

- أحقا ذهبت وحدك تزورها..؟

فأجاب:

- إنك طبعا تذكرين هذا، فقد حدثتك بأمر هذه الزيارة.

وبدا واضحا في سمات وجهها إنها لا تذكر على الإطلاق شيئا عن هذه الزيارة.

وقال زوجها:

- ما أضعف ذاكرتك يا بيلا..!

فقالت معتذرة وعلى شفتيها ابتسامة باهتة:

- صدقت.. إني أعرف أن ذاكرتي على غاية من الضعف.. وعذري أن نسيت أن مضي شهران على هذه الزيارة.

وعاد بوارو يسأله:

- وهل قابلت شارل وأخته أثناء هذه الزيارة..؟

- كلا.. فإني لم أمكث هناك إلا حوالي نصف ساعة.

واستطرد: ولكن لابد لي من اعتراف بسبب هذه الزيارة.. لقد كنت أمني النفس بأن أحصل منها على قرض، ولكني أخفقت في مهمتي.

وقال بوارو: سأوجه إليك يا دكتور تانوا سؤالاً أريد عنه إجابة صريحة.. ما رأيك في شارل وأخته تيريزا..؟

فسكت هنية ثم أردف في كلمات بطيئة:

- إنهما محتالات نصابان، ولا ضمير لهما.. فتيريزا يمكن أن ترتكب جريمة قتل بأعصاب باردة هادئة.. لقد نشأت على غرار أمها التي اتهمت بقتل زوجها.

- ولكن المحكمة برأتها.

- وهل هذا دليل على أنها بريئة حقا..؟

- وما رأيك في خطيبها الدكتور دونالدسون..؟

- إنه طبيب قدير، له مستقبل رائع، ولكنه يفتقر إلى المال لإنجاز تجاربه.. أن الأبحاث العلمية تحتاج إلى نفقات جسيمة.

واكتفي بوارو بهذه الأسئلة فنهض منصرفاً، وحين نزلنا إلى بهو الفندق مضي بوارو إلى مقصورة التليفون لحديث عاجل، ووقفت في البهو أترقب عودته.

وفجأة فتح باب المصعد وخرجت منه مسز تانوا مهرولة فسألتني عن بوارو، فلما جاء إليها ابتدرته بقولها:

- ثمة شيء آخر يجب أن أصارحك به يا مسيو بوارو.

- أهو شيء مهم يا سيدتي..؟

- بل على غاية من الأهمية.

- إني مصغ إليك فتكلمي.

ولكن قبل أن تتكم فتح باب المصعد مرة أخري وبرز منه الدكتور تانوا، وأقبل على زوجته يقول:

- هل تريدين أن تفضي بشيء إلى مسيو بوارو يا عزيزتي بيلا..؟

فبان التردد والاحجام في قسمات وجهها وهمست:

- نعم.. كنت أريد أن أسأله أن يبلغ تيريزا أنني سأقف بجانبها وأعضدها إذا أقامت الدعوى مطالبة بإلغاء الوصية.

ثم استدارت فجأة راجعة إلى المصعد يصحبها زوجها.

ومال إلى بوارو قائلاً:

- إن ما قالته لم يكن هو ما جاءت تفضي به إلينا.

فقلت: - مما يؤسف له أن حضور زوجها الفجائي روعها، فغيرت مجرى الحديث، ولكن لعلها تفضي إليك بما في نفسها في وقت آخر.

فهز بوارو كتفيه في أسى وقال: مستحيل يا عزيزي.. لقد أفلتت الفرصة إلى الأبد.

أناس يثيرون العجب

قلت لبوارو متسائلاً ونحن نتناول الغداء: والآن ما رأيك فيهم وقد رأيتهم جميعاً..؟
وتطلع إليّ بوارو بنظرة متأملة ثم أجاب في كلمات متمهلة:

- إنهم مجموعة طريفة من الناس تثير العجب.

ثم أردف:

- ولكأني الآن إزاء صندوق الحاوي، كلما فتحته ان كشف عن مفاجأة جديدة، كلما أشرت إلى أنني تلقيت خطاباً من مس اميلي اراندل قبل أن تموت قفز أمام عيني شيء غير متوقع.. فمس لاوسون تقول: (إن الخطاب لابد أن يكون بشأن النقود التي سرقت من درج المكتب)..ومسز تانوا تتساءل: (أهو بشأن زوجي؟) فماذا إذن بشأن زوجها؟ ولماذا تكتب إلى مس اراندل عن الدكتور تانوا؟ تري ما الذي فعله؟

واستطرد بوارو قائلاً:

- ومس بيبودي تقول: (إن شارل اراندل لا يتورع عن قتل جدته في سبيل الحصول على جنيه واحد).. ومس لاوسون تقول: (إن بيلا خاضعة مستسلمة لزوجها، فلو أن الدكتور تانوا أمرها بأن ترتكب جريمة قتل لما ترددت أو احجمت).. والدكتور تانوا يقول: (إن شارل وتيريزا نصابان محتالان ولا ضمير لهما، ثم يشير إلى أن أمهما كانت قاتلة، وأن تيريزا على غرار أمها يمكنها أن تقدم على ارتكاب جريمة قتل بأعصاب باردة هادئة).

وتابع بوارو الحديث بقوله:

- إن لكل منهما في الآخر رأياً عجيباً، فالدكتور تانوا يعتقد أن مس اميلي كانت واقعة تحت تأثير سيئ وهي تحرر وصيتها الجديدة، أما زوجته فليست من هذا الرأي، فلما حضر زوجها شاطرته رأيه.. في البداية كانت تأبي اتخاذ أي إجراءات لإلغاء الوصية، ثم بعد ذلك تحمست لإلغائها.

وتحول إليّ بوارو قائلاً:

- كل هذه الوقائع يا هاستنج تكشف عن أن هناك شيئاً خفياً كامناً تحت السطح.

وأثرت في كلماته فقلت مؤمناً:

- إنك على حق فيما يبدو، ولكن الموقف مازال متسماً بالغموض.

وقال بوارو:

- يبدو يا صديقي أنك عدلت عن رأيك القديم، فأصبحت الآن تري أن في المسألة (شيئاً)، فما الذي جعلك تعدل عن رأيك..؟

فأجبت:

- اعتقد أن مسز تانوا هي السبب، فقد بدت لي خائفة.

فتساءل بوارو:

- خائفة مني..؟

- كلا.. إنها لم تكن خائفة منك أنت، وإنما من شيء آخر.. كانت في البداية تنبذ فكرة إلغاء الوصية رغم نقمتها عليها، وفجأة انحازت متحمسة إلى الرأي المضاد.. أرأيت كيف هرعت إلينا في بهو الفندق والخوف في عينيها.

فقال بوارو:

- وثمة شيء آخر لعلك لم تفطن إليه.. أعني زيارة زوجها لفيللا ليتل جرين وحده دون أن يصحبها يوم الأحد السابق للوفاة.. لقد كتم عنها الأمر، ولكنه حين قال إنه أخبرها جارته في رأيه مكرهة.

فقلت:
- وكان الخوف بادياً في قسمات وجهها.
ثم أردفت متسائلاً:
- هل تعتقد يا بوارو أن للدكتور تانوا يداً في وفاة..
فقاطعني بوارو بحدة:
- تريث يا صديقي ولا تقفز إلى استخلاص النتائج.. يجب أن تطرح مشاعرك ظاهرياً ولا تركن إلا إلى الحقائق وحدها.
فتساءلت:
- ولكن ما هي (الحقائق لدينا..)؟
فسكت بوارو هنيهة ثم قال:
- الحقيقة الأولي هي أن هناك (محاولة قتل).. هذا أمر لا خلاف عليه بيننا.
فأجبت مؤمناً:
- هذا صحيح، فإني الآن أقرك على سلامة منطقك.
- هذا جميل.. اتفقنا إذن على أنه كانت هناك (محاولة قتل) أي أن هناك (قاتلاً) مجهولاً.
- هذا لا شك فيه.
وتابع بوارو سرد الوقائع قائلاً:
- وتلت ذلك عبارات مختلفة ترددت أمامي عرضاً أم عن عمد، فمس لاوسون تقول إن شارل هدد جدته بإزاحتها من الطريق، أي بالقتل، ومن المحتمل أنها اشارت إلى ذلك ببراءة أو عامدة عن نية خبيثة.. وكذلك ما جاء على لسان الدكتور تانوا عن تيريزا، فربما صدرت منه بلا غرض شرير.. ثم حديث مس بيبودي عن شارل اراندل.
فسألته:

- الذي يهمني هو رأيك في كل هذا يا بوارو..
- إني لم أكون لي رأياً بعد، فمازلت أفكر.
واستطرد:
- ثم ننتقل بعد هذا إلى الحوافز، أي إلى الدافع إلى القتل.. من الذي ينتفع من موت مس اراندل..؟
واستطرد يقول محللاً الوقائع:
- قبل إلغاء الوصية الأولي كان الجميع ينتفعون من موتها.. عدا مس لاوسون.
فقلت:
- أي أن جميع أقاربها بمن فيهم الدكتور تانوا مشتبه فيهم.. وذلك مع استبعاد مس لاوسون.
فقال بوارو:
- تماماً.. أي أن أحدهم هو الذي شد الخيط على رأس السلم ليقتل مس اراندل.. وبعد تحرير الوصية الثانية أصبحت مس لاوسون هي وحدها المنتفعة، أي أن الشبهة انزاحت عن الأقارب جميعاً.
واستطرد بوارو قائلاً:
- بعد وقوع مس اراندل على السلم نقلت إلى فراشها فاتسع أمامها الوقت للتفكير.. فماذا فعلت بعد ذلك..؟ كتبت إليّ خطاباً، وإن لم يودع البريد.. وعقب هذا استدعت محاميها وحررت وصية جديدة.
- هذا صحيح.. وماذا بعد..؟
- حدث في خلال ذلك شيء أشارت إليه ايلين.. قالت إن مس لاوسون كانت حريصة أشد الحرص على أن لا تعرف مس اراندل أن الكلب بوب بات ليلة الحادث خارج البيت:
فتساءلت:

- ألهذه الواقعة شيء من الأهمية..؟

- بل إن لها أهمية كبري.. وبعد هذا توالت وقائع أخري.. حضر شارل وتيريزا لزيارة عمتهما في عطلة الأسبوع، واطلعت مس اراندل ابن أخيها شارل على الوصية الجديدة، أو هذا على الأقل هو ما ذكره لنا.

- ألا تصدقه في هذا..؟

- إني لا أصدق إلا الوقائع التي أثبت صحتها.. ولكن العمة اميلي لم تطلع تيريزا على الوصية.. ويقول شارل في هذا إنه أفضي إلى أخته بأمر الوصية الجديدة، وإن كانت تيريزا تنكر أنه فعل.. وعند انصرافنا سمعناها من وراء الباب تنعته في غضب بأنه أحمق مجنون.

وبعد سكتة قصيرة عادل بوارو يقول:

- وفي يوم الأحد حضر الدكتور تانوا وحده دون زوجته لزيارة مس اراندل، كما أنه كتم أمر هذه الزيارة عن زوجته.

ومضي بوارو في حديثه قائلاً:

- وفي يوم الاثنين حضرت الاختان تريب لزيارة مس اراندل، وعقدن جلسة لاستحضار الأرواح، وتمشين في الظلام ومعهن مس لاوسون، وفجأة أصيبت مس اراندل بالمرض، وماتت بعد أربعة أيام.

فقلت:

- وكانت ميتة طبيعية طبقاً لما قرره الدكتور جرينجر.

واستطرد بوارو دون أن يحفل بمقاطعتي:

- لقد أشارت إحدي الأختين تريب في حديثها إلى أن مس اراندل تناولت في عشائها حساء بالكاري، ولاشك أنك تعلم أن الكاري حريف المذاق يمكن أن يخفي مذاق السم إذا خلط به.

- هل تريد أن تقول إن الاختين تريب..

فقاطعني بوارو:

- إني لم أقل هذا، كما أن الاختين بريئتان من تهمة القتل.. والآن هل من حاول قتلها أثناء سريان الوصية الأولي هو نفسه من قتلها بعد الغائها؟

وران علينا الصمت برهة، ثم قال بوارو:

- هاستنج.. إنني أخشي أن تقع جريمة قتل أخري.. إن القاتل الآن هادئ ساكن، كالحية النائمة، ولكن إذا أثارته تحرياتنا، فقد يتحرك، ويقتل..! إنني أخشي أن تكون هناك ضحية أخري في طيات الأفق.

❋ ❋ ❋

الدرج المفتوح

ملت إلى هير كيول بوارو متسائلاً: والآن إلى أين نمضي في سبيل مزيد من التحريات..؟

- إلى مقابلة المحامي مستر بيرفيس، ولكننا سنمضي أولاً إلى مسكني، فقد اتصلت تليفونياً بمس تيريزا[1] ارانديل ونحن في فندق دورهام وطلبت منها أن تبعث إلي بيتي مع أحد الخدم بخطاب تزكية إلى المحامي حتي لا يضن عليّ بمعلوماته.

بيد أننا وجدنا أن شارل ارانديل نفسه هو الذي جاء بالخطاب المنشود.

ابتدرنا بقوله:

- لقد جئت بالخطاب منذ ربع ساعة، ولبثت في انتظاركما حتي تحضرا.

ولمحت أحد أدراج المكتب مفتوحاً قليلاً، ولم يغب عني أن شارل هو الذي عبث به دون شك، فقد كان بوارو من الدقة بحيث لا يمكن أن يدع أدراجه مواربة.

وقال شارل:

- أرجو أن يحالفك التوفيق مع بيرفيس فيدلي إليك برأيه في الطريقة المثلي التي يتسني بها إلغاء الوصية.

وسأله بوارو:

- ألم تحاول أن تتصل بمس لاوسون لتقنعها بأن تمنحك أنت واختك جزءاً من الثروة التي آلت إليها..؟

- حاولت وفشلت.. لقد أخفقت جاذبيتي المعهودة في أن أظفر بشيء من

عطفها.. لاشك أنها محصنة ضد جاذبية الرجال.

وعاد بوارو يسأله:

- وعلى فكرة.. هل حقيقة أنك هددت عمتك بأن (تزيحها) من الطريق عندما رفضت أن تعطيك بعض المال..؟

فقال شارل في مرح واستخفاف:

- يالك من داهية يا مسيو بوارو..! ليت شعري كيف وقعت على هذه القصة..؟

- إذن فالأمر حقيقي..؟ هلا حدثتني إذن بما جري بينكما..؟

فأجاب:

- سأصارحك بما كان بيننا.. لقد سألتها (قرضاً) فأبت، وألححت فأصرت على الرفض، فقلت لها: (اسمعي يا عمتي اميلي.. إن أسلوبك هذا في معاملة الأسرة سينتهي بك في آخر الأمر إلى ازاحتك من الطريق).. فقالت في خشونة: (ماذا تعني يا شارل؟).. فأجبت: (إن جميع أقاربك وأصدقائك الذين يلتقون بك في فقر مدقع، وهم يتطلعون إليك في أمل ورجاء طامعين فيك، ولكنك تضنين عليهم بما يسد عوزهم، وهذه هي الطريقة التي يعرض الناس أنفسهم للقتل، فإذا أزاحك أحدهم من الطريق فلا تلومين إلا نفسك).

وسأله بوارو:

- وكيف كان رد الفعل على نفسها..؟

وأجاب شارل:

- تطلعت إليّ برهة صامتة ثم قالت في جفاء: (إذن فهذا هو رأيك يا شارل..؟) فأجبت: (نعم.. هذا هو رأيي، ونصيحتي إليك أن تبذلي لمن حولك شيئاً من مالك).. فقالت: (شكراً لك على هذه النصيحة يا شارل، ولكن ثق أنني أعرف كيف أحمي نفسي وأحافظ على حياتي) فقلت: (ليس لك أن تثقي بنفسك إلى هذا الحد. حسبي أني حذرتك).

فقال بوارو:

- إذن فهذا هو كل (تهديدك) لها بالقتل.. وبعد ذلك أبحت لنفسك أن تختلس من درجها خمسة جنيهات وثلاثة شلنات..؟

فحملق فيه شارل مرة أخري وهو يقول:

- يا إلهي..! كيف استطعت أن تعرف كل هذا..؟

ثم استطرد:

- كنت على غاية من الإفلاس، فخطر لي أن هذا المبلغ التافه لن يؤثر في ثروة عمتي.. ولكن تأكد أنني لست لصاً فقد كان في الدرج أكثر من مائة جنيه.

ثم تابع الحديث متسائلاً في إلحاح:

- ولكن من الذي أنبأك بهذا، فقد اعتقدت أن الشبهة سوف تتجه إلى الخدم.

وأجاب بوارو:

- مس لاوسون هي التي أخبرتني.. كما أنها هي التي أنبأتني بأنك هددت عمتك بالقتل.

- يا لهذه المرأة من شيطانة خبيثة..! إنها تكره تيريزا وتكرهني أشد الكره.

وسأله بوارو:

- أعرفت يا تري أن الدكتور تانوا زار عمتك يوم الأحد السابق لوفاتها..؟

- يوم الأحد..؟ لقد كنت أنا وتيريزا في زيارتها، ولكننا لم نعرف أنه حضر لمقابلتها.. لاشك أنه جاء بعد الظهر حين خرجت مع تيريزا نتجول في القرية.

ثم أردف:

- إن تانوا رجل لطيف المعشر، وقد رزق بزوجة لا تحتمل.. لو أنني كنت مكانه لخنقتها ليلة الزفاف، ولكني أعرفه رجل دمث الخلق رقيق المشاعر لا يمكن أن يقدم على إيذاء ذبابة.

فقال له بوارو:

- وأنت..؟ أتراك لا تحجم عن القتل..؟

فضحك شارل في مرح واستخفاف وأجاب:

- القتل..؟ لا يا مسيو بوارو.. إنني رجل لا اقترف إلا الجرائم الخفيفة.. قد أنصب، وقد أزور، وقد اختلس مبالغ ضئيلة.. أما القتل فلا.. يجب أن تكون على يقين يا عزيزي بوارو من أنني لم أدس..

وأمسك برهة عن اتمام عبارته ثم أردف:

- لم أدس الاستركنين في حساء عمتي.

ثم نهض واقفاً، ولوح لنا بيده منصرفا.

وقلت لبوارو اسأله بعد انصراف شارل:

- هل أردت بهذه الأسئلة أن ترهبه وتثير في نفسه الفزع..؟

فأجاب:

- ولكنه لم يتأثر.. كان رد الفعل سلبياً.

واستطرد بوارو يقول:

- ولكن أتراك فطنت إلى هذه السكتة القصيرة التي سبقت نطقه لكلمة (استركنين)..؟ لقد قال: (إنني لم أدس).. ثم سكت برهة وبعدها نطق بكلمة استركنين، فكيف تعلل يا هاستنج هذه السكتة الفجائية..؟

فأجبت:

- لا أدري.. فكيف تعللها أنت..؟

فأجابني بوارو بقوله:

- لعله أراد أن ينطق بكلمة أخري، ثم رأي أن من الحكمة أن لا يذكر السم الآخر.

ألقي المحامي بيرفيس نظرة سريعة على خطاب التعارف الذي زودتنا به تيريزا اراندل، ورحب ببوارو في مودة، وأشار إلى أنه يعرف ما له من شهرة في ميدان العمل البوليسي، وأبدي استعداداً تاماً للإجابة على جميع أسئلة الشرطي الشهير.

وساله بوارو عما كان بشأن الوصية الجديدة، وكيف نشأت فكرتها.

وتطلع بيرفيس في أوراق أمامه ثم أجاب:

- لقد كتبت إلى مس اميلي لاوسون في السابع عشر من شهر إبريل، طالبة مني أن أحرر وصية جديدة، خصصت فيها مبلغين لاثنين من خدمها، ومبالغ أخري لبعض الأعمال الخيرية، أما باقي التركة فأوصت بها لمس ويلهيلمينا لاوسون.

- وطبعاً كانت هناك وصية سابقة.

- نعم.. فمنذ خمس سنوات حررت لها وصية أخرى وزعت فيها ثروتها على أبناء اختها وأخيها، بالإضافة إلى مبالغ أخرى نقدية لبعض الخدم.

- وما كان مصير هذه الوصية بعد كتابة الوصية الجديدة..؟

- لقد احضرتها معي بناء على طلبها عند زيارتي لها يوم ١٢ أبريل.

- هل لك أن تصف لي بالتفصيل ما حدث أثناء هذه الزيارة..؟

فتريث المحامي برهة مفكراً، ثم أجاب:

- وصلت إلى الفيللا في نحو الثالثة بعد الظهر وفي صحبتي أحد الكتبة، واستقبلتنا مس اراندل في قاعة الاستقبال.

- وكيف كانت حالتها الصحية..؟

- على خير ما يكون، رغم أنها كانت تتوكأ على عصا، إذ فهمت منها أن قدميها انزلقت على السلم وهي هابطة، ولكنها بدت لي مضطربة قليلاً وكانت تصرفاتها متسمة بالانفعال.

- أكانت مس لاوسون حاضرة هذا الاجتماع..؟

- كانت معها عند دخولي، ولكنها ما لبثت أن انصرفت وتركتنا منفردين.

وتابع المحامي بيرفيس الحديث قائلاً:

- قدمت إليها الوصية الجديدة فقرأتها، وسألتني قلماً لتذيلها بتوقيعها، ولكنني رأيت أن أصارحها برأيي، وقلت لها إن هذه الوصية الحديدة تنطوي على

ظلم صارخ ضد أسرتها.

- وما كان ردها يا تري..؟

- قالت: إن المال مالها، وإن لها ملء الحرية في أن تتصرف فيه طبقاً لمشيئتها، فعدت أقول لها إن مس لاوسون لم تقض في خدمتها إلا زمناً قصيراً، وأنه ليس من الانصاف أن تتخلي عن ورثتها الشرعيين على مثل هذه الصورة الظالمة، فأجابتني بأنها تعرف ما تفعل، وأن هذه هي إرادتها.

فسأله بوارو:

- وهل كانت منفعلة وهي تتحدث إليك..؟

- كانت منفعلة، ولكني أحب أن أؤكد لك أنها كانت واعية لكل ما تفعل، متمالكة قواها، أو بعبارة أخري قانونية: كانت متمالكة لكامل أهلية التصرفات.. واستطيع أن أشهد بهذا في المحكمة.

- هذا مفهوم.. وما الذي حدث بعد ذلك..؟

- وقعت الوصية، ثم أودعت الوصية درج مكتبها وأغلقته بالمفتاح.

- والوصية القديمة..؟ هل مزقتها؟

- كلا.. بل أودعتها نفس الدرج مع الوصية الجديدة.

- وبعد الوفاة، هل وجدت الوصية في الدرج..؟

فأجاب بيرفيس:

- نعم.. كانت الوصيتان معاً.. القديمة والجديدة.. في نفس الدرج.

فتساءل بوارو:

- اسألتها يا تري عن الدافع إلى تحرير الوصية الجديدة؟

- سألتها، ولم تزد في ردها عن أن تقول: (إنني أعرف ما أنا فاعلة).

- وهل أدهشك يا مستر بيرفيس أقدامها على تحرير الوصية الجديدة..؟

- نعم أدهشني الأمر، فعهدي بها حريصة دائماً على الروابط العائلية.

- وطبعاً لم تعرف مس لاوسون بفحوي الوصية الجديدة..؟

- أنا شخصياً لا يمكن بحكم مهنتي أن أفضي إليها بشيء من هذا، كما أن مس اراندل أكدت لي أنها لم تصارحها بشيء وأنها لا تنوي أن تحدثها عن الوصية الجديدة.

وسكت بوارو هنيهة ثم تساءل:

- ولكن كيف نعلل احتفاظ مس اراندل بالوصيتين معاً، إذ كان المفروض أن تمزق الوصية القديمة بمجرد كتابة وصية جديدة..؟

فقال المحامي:

- لقد سألت نفسي في هذا، ومنيت النفس بأنها قد تراجع نفسها في يوم من الأيام، فتعدل عن موقفها، وتمزق الوصية الجديدة، ولكن هذا لم يحدث لأن المنية عاجلتها.

- إذن فقد كنت تتوقع منها أن تفعل ذلك..؟

فأجاب بيرفيس:

- هذا مجرد رأي شخصي.. بل لعله كان مجرد أمنية دارت بخلدي.

وشكره بوارو على المعلومات التي أدلي بها، وغادرنا مكتبه منصرفين.



قلت لبوارو ونحن في طريقنا إلي ماركيت بيسنج: إننا لم نظفر من بيرفيس إلا بالقليل.

- إنه محام ذكي على قدر كبير من الدهاء.

فقلت: ولكننا عرفنا منه على الأقل أن لا علم لمس لاوسون بفحوي الوصية الجديدة.

- وهل نسيت يا صديقي أن مس لاوسون حادة السمع، وأنها تجيد التلصص من ثقوب الأبواب واستراق السمع..؟

- إذن فأنت تعتقد أن مس لاوسون سمعت الحديث الذي جري بين مس اراندل ومحاميها..؟

- حتي الآن لا اعتقد شيئاً، ولكني أحب أن أذكرك بأنها سمعت الحديث الذي دار بين شارل وعمته حين هددها بإزاحتها من الطريق، فما الذي يحول دونها وسماع حديث سيدتها ومحاميها، خاصة أن مستر بيرفيس رنان الصوت..؟

حين ضغطنا جرس الباب في فيللا ليتل جرين، سمعنا الكلب بوب وهو يقبل في الردهة راكضاً، ثم سمعناه وهو يخدش الباب بقوائمه في غضب، كأنما يريد أن يصد عن حرم سيدته المقدس كل غريب يريد أن ينتهك حرمته.

وفتحت لنا ايلين بعد برهة، معتذرة عن التأخير بأنها كانت تحبس بوب، فقلت لها:

- يمكنك أن تطلقيه فهو يعرفنا ويحبنا.

وجاء بوب مهرولاً، وأخذ ينبح في سعادة حين رآنا، ومضي يتمسح بنا، وأنا

أداعبه وأربت على ظهره، وأناجيه بأعذب الكلمات.

ومضي بوارو إلى قاعة الجلوس في صحبة ايلين، أما أنا فبقيت في الردهة برهة مع بوب ألاعبه، وأقذف إليه بكرته، فيتلقفها ويهرع بها إليّ، لأرمي بها إليه مرة أخري.

ومضي بوارو إلى قاعة الجلوس في صحبة ايلين، منهمكين في الحديث وسمعت ايلين تقول له:

- نعم يا سيدي.. لقد اعتادت أن تتناول حبوباً بيضاء صغيرة.. حبتان أو ثلاثا بعد كل وجبة.. كانت هذه هي تعليمات الدكتور جرينجر، وكانت تتناول (كبسولات) أخري جاءت بها مس لاوسون ونصحتها بأن تتناولها.. إنها كبسولات الدكتور لوبارو لعلاج الكبد.. لاشك أنك سمعت عنها يا سيدي، فالصحف زاخرة بالإعلان عنها.

- وهل رضيت أن تتناولها..؟

- لقد جربتها وقالت إنها ارتاحت إليها.

- ولكن ألم تستشر الدكتور جرينجر في شأنها..؟

- استشارته يا سيدي، فقال لها: (مادمت قد ارتحت إليها فتناوليها.. إن لم تفدك فإنها على الأقل لن تؤذيك).. وعقب على قوله هذا بأن ضحك قائلاً: (الاعتقاد في دواء معين ولو كان باطلاً هو خير وسيلة للشفاء).

فسألها بوارو:

- وهل كانت تتناول أدوية أخري..؟

- كلا.. لقد جهز لنا ذلك الطبيب اليوناني زوج مس بيلا دواء بنفسه في الصيدلية، فشكرته، ولكنها لم تتناوله، وإنما أفرغته في البالوعة لأنها لا تثق بهؤلاء الأجانب.

- وهل رأتها مسز تانوا وهي تفرغ دواء زوجها في البالوعة..؟

- هذا لاشك فيه.. وماذا فعلتم بالأدوية المتبقية بعد وفاة مس ارانديل..؟

- لقد رمتها الممرضة المشرفة على علاجها، كما أن مس لاوسون تخلصت من جميع الأدوية التي كانت موجودة في دولاب الصيدلية في الحمام.

- ما اسم هذه الممرضة.. أتعرفينه..؟

وذكرته له على الفور، فسألها:

- هل لك أن تصفي لي أعراض المرض الأخير الذي نزل بمس اراندل قبيل وفاتها..؟

وراحت ايلين تسرد عليه أعراض المرض: المغص.. واصفرار الوجه والعينين اصفراراً شديداً لاختلال الكبد وإصابته بالصفراء، ثم الهذيان السابق للاحتضار.

ثم عاد يسألها عن الأطعمة التي كانت تتناولها، ومن الذي كان يتولي إعدادها.

وجاء بوب أثناء الحديث، وأخذ يثب على قدمي، فمضيت به إلى البهو لألاعبه مرة أخري.. وحين رجعت إلى قاعة الاستقبال كان بوارو يسأل ايلين عن الزيارة غير المتوقعة التي قام بها الدكتور تانوا للبيت يوم الأحد السابق للوفاة.

وأجابت:

- نعم.. كان مستر شارل ومس تيريزا في القرية حين جاء الدكتور تانوا، وقد دهشت السيدة لهذه الزيارة المفاجئة، ولكنها استقبلته على الفور.

- وهل مكث طويلاً..؟

- لقد انصرف بعد أقل من ساعة.

فسألها:

- عند تقديمك الشاي إليهما ألم تسمعي شيئاً مما دار بينهما من حديث..؟

- لقد انصرف الدكتور تانوا يا سيدي قبل موعد تناول الشاي، ولذلك لم أدخل عليهما، فلم أسمع شيئاً مما دار بينهما.

وبعد سكتة قصيرة سألها بوارو:

- هل غرفة مس لاوسون مجاورة لغرفة مس اراندل..؟

- كلا يا سيدي.. أتحب أن تشاهدها..؟

ورحب بوارو بهذا الاقتراح، وصعد في رفقة ايلين إلى الطابق العلوي.

وعندما بلغ البسطة الأخيرة احتك بالجدار، ثم هتف:
- آه.. يبدو أن في الجدار مسماراً علق ببنطلوني.
وانحني متظاهراً بأنه يفحص بنطلونه، ثم أشار إلى مسمار بارز في الجدار الخشبي للسلم وهو يقول:
- آه.. هذا هو المسمار.
فقالت ايلين:
- أصبت يا سيدي، فقد كاد أن يمزق ثوبي في يوم من الأيام.
فسألها: أهو في مكانه هذا منذ فترة طويلة..؟
- اعتقد ذلك يا سيدي، فقد علق بثوبي بعد يوم أو يومين من انزلاق قدم السيدة ووقوعها على الدرج، وكنت أنوي ان انتزعه ولكني نسيت.
- إني أري خيطاً ملفوفاً حول رأس المسمار.
- تماماً يا سيدي، فإني أذكر أني رأيت الخيط أنا أيضاً.
ومضت بنا ايلين إلى غرفة مس لاوسون، ثم إلى غرفة الممرضة.
وحين هبطنا إلى الطابق الأرضي، استأذن بوارو من ايلين لحظة لكي يشاهد الحديقة.
فقالت: لك ذلك يا سيدي إن شئت.. إن البستاني انجوس لايزال قائماً بالعمل هنا، وهو يستطيع أن يطوف بك أرجاءها.
وفي الحديقة استقبلنا البستاني العجوز انجوس بالترحاب، وأخذ يحدثنا عن حديقته في اعجاب.
وقال له بوارو كاذباً يستدرجه إلى الحديث:
- يبدو أن مستر شارل مولع بالزهور فقد رأيته مرة وهو يتفقدها في اهتمام.
فاندفع البستاتي يقول:
- نعم.. إنه مغرم بالزهور يا سيدي، وكان يسره دائماً أن يستفسر عن

أسمائها، وقد سألني مرة عن المبيدات الحشرية التي استعملها لأقتل الآفات التي تلتهم الزهور.

فسأله بوارو:

- ومتي كان ذلك..؟

- في شهر أبريل الماضي.

- وما هو المبيد الذي تستعمله يا انجوس.

- إني استعمل مبيداً مخلوطاً بالزرنيخ.

فقال بوارو:

- ولكن أليس هناك من خطر في استعماله..؟ أعني أليس خطراً على الإنسان..؟

فقال انجوس:

- هذا هو نفسه ما ردده مستر شارل حين أريته علبة المبيد.. إنه خطر طبعاً إلا إذا استعمله المرء باحتراس.

- هل لديك الآن شيء منه..؟

وعاد إلينا انجوس بعد لحظات بعلبة المبيد، وما أن رفع غطاءها حتي هتف في دهشة واستغراب:

- هذا عجيب..! إن العلبة تكاد تكون فارغة مع أني كنت أحسبها ملأي، لاشك أنني أسرفت في استعمالها.

ثم أردف ضاحكاً:

- لقد قال لي مستر شارل إذ ذاك أنه سوف يستعير مني العلبة عندما يتزوج حين يتراءي له أن يتخلص من زوجته.

فقال له بوارو ضاحكاً في مرح:

- إذن أرجوك أن تحرص على العلبة فقد استعيرها منك في يوم من الأيام، لأنني أنوي أن أتزوج قريباً.

علبة المبيد

فتحت أمامنا علبة المبيدات بابا جديداً للافتراضات.
- لاشك أن شارل هو الذي استولي على المبيد خفية عن البستاني.
- لا أظن، وإلا كان أحمق معتوها، فإن ترديده الحديث عن المبيد كفيل بأن يورطه ويسترعي إليه الشبهات ما دام كان ينوي أن يختلس منه شيئاً.

واستطرد بوارو:

- ومع ذلك فثمة شيء آخر.. أتتذكر حديثه معي اليوم..؟ لقد قال: (أؤكد لك أنني لم أدس لعمتي).. وسكت ثم أردف: (الاستركنين في حسائها).. فلماذا كانت هذه السكتة الفجائية..؟ لقد أراد أن يقول: (الزرنيخ)، ثم عدل، فلماذا عدل..؟ لماذا تعمد أن لا ينطق بهذه الكلمة..؟ لأنه هو الذي اختلس المبيد الذي كان يستعمله البستاني ولأن هذا المبيد مزيج من الزرنيخ ومواد أخري.

فقلت متسائلاً:

- أتعني أنه هو الذي قتل عمته بالمبيد الزرنيخي..؟

- إنني لا أعني شيئاً.. إنني أفكر مجرد تفكير.. ولكن عبارته هذه وتردده هو الذي جعلني أخرج إلى الحديقة وأسأل البستاني عن نوع المبيد الذي يستعمله.. وها نحن قد اكتشفنا أن شارل كان شديد الاهتمام بهذا المبيد الزرنيخي، وأن شخصاً ما اختلس من العلبة كمية كبيرة.

فقلت:

- ولكن ما الذي تستخلصه من هذا يا عزيزي بوارو..؟
- ألم أقل لك أنني لم استخلص شيئاً حتي الآن..؟ إن عملي مقصور على التفكير.

ومررنا بإحدي الصيدليات فدخل إليها بوارو واشتري علبة من (كبسولات لعلاج الكبد)، ومضي يجاذب الصيدلي الحديث قائلاً:
- أظن أن مس اميلي اراندل كانت تستعمل هذا الدواء.
- نعم يا سيدي، فقد اشترت مني أكثر من علبة.
- ووصيفتها مس لاوسون..؟ كانت عميلة عندك.
- مس لاوسون.. تعني السيدة التي آلت إليها هذه الثروة الطائلة..؟ لقد كانت من خير عملائي، فقد كانت لا تفتأ تبتاع مني أقراصاً للزور وأقراصاً للسعال، وأقراصاً للزكام.
- وهل تعرف الدكتور تانوا زوج ابنة أخت مس اراندل..؟
- إنني أعرفه.. هذا الطبيب اليوناني.. لقد زارني مرة وتولي بنفسه تركيب دواء لمس اراندل.. والحق أنه كان دواء جديداً لم أعهده من قبل.
- وهل تعرف زوجته أيضاً..؟
- مسز تانوا..؟ لقد اشترت مني مرة دواء منوماً.. الكلوال فيما أذكر.. وكانت كمية هذا العنصر في السائل مضاعفة، وقد حذرتها من خطورته، ولكني ركبت لها الدواء لأنها كانت تحمل (تذكرة) حررها لها زوجها الدكتور تانوا، وإن كنت اعتقد أنه أخطأ في تحديد النسب الملائمة.

وحين غادرنا الصيدلية قلت لبوارو:
- إذن فقد اشترت مسز تانوا دواء منوماً مزدوج المقدار.

فقال بوارو معقباً:
- وازدواج الكمية كفيل بقتل الإنسان.

- ولكن ما هدفها من وراء ذلك..؟ أو بعبارة أخري: ما هدف الدكتور تانوا من وراء مضاعفة الكمية لزوجته..؟ أتراه يريد أن يقتلها..؟

فقال بوارو معترضاً:

- وهل يبلغ الجنون بإنسان أن يقدم الدليل ضد نفسه بأن يحرر بيده (تذكرة) الدواء القاتل..؟

وسكت مخذولاً لأن منطق بوارو كان أقوي من استنتاجاتي.

وعرجنا في طريقنا على المستشفي لنقابل الممرضة كارثا التي اشرفت على مس اراندل أثناء مرض الموت.

وفي هذه المرة انتحل بوارو لنفسه شخصية أخري إذ زعم أن له عمة مريضة، وأنه في حاجة إلى من يرعاها، وأنها صعبة المراس لم تطق الممرضات الشابات اللائي يفرضن عليها أوامرهن.

وتعاطفت معه مس كارثا، وأشار بوارو إلى أنه سمع عنها ثناء مستطاباً خاصة ممن عرفوها وهي تمرض مس اراندل.

واضطرد الحديث على هذا النحو، وتطرق إلى الوصية التي تركتها مس اراندل.

وقالت مس كارثا:

- لاشك أن الوصية كانت صدمة أليمة لأفراد الأسرة.

فأمن بوارو على قولها، ثم أردف:

- وكانت على الأخص صدمة شديدة الوقع على مس تيريزا اراندل.

فقالت الممرضة:

- لاشك في هذا، وقد علمت أن الوصية أثارت الكثير من القيل والقال.

فسألها بوارو:

- ألم تحدثك مس اراندل عما حفزها إلى تعديل الوصية القديمة..؟

- أبداً.. إنها لا لم تفاتحن أنا بشيء من هذا إطلاقاً.

- وهل فاتحت في الأمر سواك..؟

- هذا ما يخيل إليّ، فقد سمعت مس لاوسون تقول لها: (كلا يا عزيزتي.. إنها موجودة عند المحامي).. ثم سمعت اراندل ترد عليها بقولها: (إني متأكدة من أني وضعتها في درج المكتب).. ولكن مس لاوسون أجابتها قائلة: (كلا.. إنك اعطيتها للمحامي، ولكن لعلك نسيت).. وعند ذلك اصيبت مريضتي بغيبوبة، وانصرفت مس لاوسون إلى شأنها، وقد استقر في ذهني عندئذ أنهما كانتا تتحدثان عن الوصية.

فأمن بوارو بقوله:

- هذا محتمل جداً.

واستطردت مس كارتا قائلة:

- وخرجت من هذا بأن مس اراندل كانت تنوي تعديل الوصية أو تمزيقها، ولكن المسكينة كانت على حال من الأعياء لا تملك من أمر نفسها شيئاً.

وسألها بوارو:

- أكانت مس لاوسون تشترك معك في تمريض مس اراندل..؟

- كلا.. اطلاقاً، وإن كانت لا تنفك تروح وتغدو حولنا، دون أن تأتي عملاً.

- وايلين..؟ أكانت تساعدك في تمريضها..؟

- إنها هي التي كانت تنسق الفراش، وتقوم بتهوية الغرفة.

- أكانت مس لاوسون هي التي تعد لها الطعام..؟

- كلا.. بل الواقع أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى إعداد أي نوع من الطعام، فقد كانت تتغذي على اللبن المحفوظ، وأنا التي كنت أعده لها بنفسي.

وساد الصمت برهة، ثم سألها بوارو فجأة:

- ألم تتحدث مس اراندل أثناء مرضها عن كلبها المدلل بوب..؟

فقالت:

- غريب منك أن تشير إلى هذا، ففي أثناء هذيان الاحتضار تحدثت عن الكلب كثيراً.. قالت كلاماً غير مفهوم عن كرة الكلب، وعن سقوطها على السلم.. مسكين..! لاشك أنه حزن كثيراً لموت سيدته، فقد كان شديد التعلق بها.

وعند هذا الموضع من الحديث انصرفنا من زيارة مس كارثا.

في تلك الليلة تناولنا العشاء على مألوف عادتنا في مطعم جورج، وما أن فرغنا منه حتي سمعنا صوتاً متهدجاً ثائراً يسأل في انفعال عما إذا كان مسيو هيركيول بوارو موجوداً.

وأقبل علينا السائل في خطوات مهرولة، فإذا به الدكتور جرينجر.

أقبل على بوارو يقول في غضب:

- آه..! أهذا أنت..؟ بحق الشيطان يا مسيو بوارو لم خدعتني وهزأت بي..؟ لم سقت إليّ حفنة من الأكاذيب، فتأتي لزيارتي بحجة أنك بسبيل وضع كتاب عن الجنرال اراندل، والحقيقة أنك شرطي سري..؟

كان الدكتور جرينجر ثائراً يتكلم في غضب:

وسأله بوارو في هدوء:

- ولكن كيف اكتشفت شخصيتي الحقيقية..؟

- مس بيبودي هي التي كشفتها لي.

فقال بوارو في استغراب ودهشة:

- مس بيبودي..؟ إذن فقد كشفت سري منذ اللحظة الأولي.

ثم أردف:

- اسمح لي يا دكتور جرينجر أن أشرح لك..

فقاطعه في هياج وغضب:

- تشرح لي..؟ وماذا تريد أن تشرح..؟ إني أريد أن أعرف لماذا هزأت بي.. لماذا سخرت مني..؟ ما الذي جعلك تكذب عليّ..؟

وبعد محاولات ومناورات استطاع بوارو أن يجعل الدكتور جرينجر يتخذ مجلسه بجانبنا، وأن يجعله ينصت إلى تفسيره للأكذوبة التي ألقي بها إليه.

قال بوارو في اقتضاب، ولكن في نبرة حاسمة:

- تفسير أكذوبتي بسيط يا دكتور جرينجر.. سقوط مس اراندل على السلم لم يكن مجرد قضاء وقدر، وإنما كان (محاولة قتل).

وفغر الدكتور جرينجر فاهه دهشة وهتف متسائلاً:

- ماذا تقول..؟ محاولة قتل..؟ ولكنها لم تفصح أمامي بكلمة واحدة عن هذا.

- لأن القاتل أحد أفراد أسرتها، وهي شديدة الحرص على الروابط العائلية.

فتساءل الدكتور جرينجر:

- ولكن كيف أقحمت نفسك في هذا الموضوع..؟

- مس اراندل كتبت إليَّ تستشيرني، ولكن من المؤسف أن الخطاب لم يودع البريد إلا بعد وفاتها.

واستطرد بوارو يحدثه في ايجاز عن تفاصيل القصة، وعن المسمار الذي وجده مدقوقاً في جدار السلم، والخيط الذي كان معقوداً فيه ومشدوداً في السياج عبر البسطة.

- وهل عرفت من الذي قام بهذه المكيدة الدنيئة..؟

- ليس لدي دليل حتي الآن ولكن لديَّ فكرة مؤكدة.

وأردف بوارو يقول:

- وقد تداعت الأحداث منطقياً في ذهني بعد ذلك، فإذا كان هناك من حاول قتلها وفشل، فالمفروض أنه سيقوم بمحاولة أخري، وإذا كانت كل الظواهر تؤيد أن مس اراندل ماتت ميتة طبيعية، فما يدرينا أن القاتل الذي فشل قام بمحاولة أخري نجح فيها، وأن موتها لم يكن طبيعياً.

فقال الدكتور جرينجر معترضاً، وفي صوته نبرة من الغضب:

- ماذا تعني..؟ إنني طبيبها الخاص، وأؤكد لك أن ميتتها كانت طبيعية.
وقال بوارو مسترسلاً:
- هناك حالات معينة من التسمم تبدو أعراضها مشابهة للنزلات المعوية الحادة، وأعني بذلك التسمم بالزرنيخ، فقد يصحبه قيء ومغص شديد وتقلصات حادة، وهذه الأعراض تثير الاشتباه، أما إذا لم تظهر هذه الأعراض فقد يظن الشخص أنه مصاب بنزلة معوية.. فما رأيك.
وأجاب الدكتور جرينجر بقوله:
- إن الأعراض التي ظهرت على مس اراندل كانت خالية من القيء والمغص والتقلصات، ولم يصحبها شيء من الشلل الجزئي ولذلك كنت متأكداً من أن موتها طبيعي.
- ولكنك لا تنفي أن الأعراض التي عانت يمكن أن تكون ناشئة عن التسمم بالزرنيخ..؟
- طبياً لا أستطيع أن أنفي هذا، ولكن معرفتي بحالتها العامة وإشرافي المتصل على علاجها يجعلني أؤكد أن ميتتها كانت طبيعية.. لقد كانت مريضة بالصفراء.
وحين انصرف الدكتور جرينجر قلت لبوارو:
- وبعد..؟ أمازلت متشبثاً برأيك من أن مس اراندل ماتت مسمومة..؟
فأجاب:
- إني واثق مما أقول..
فقلت في عناد وإصرار أتحدي بوارو:
- ولكن ها أنت ذا تري أن الجميع ضدك.. الكيماوي والممرضة وأخيراً الدكتور جرينجر.
فقال بوارو في يقين وإيمان:
- هذا لأنني (أعلم) أما هم فلا يعلمون.

في صباح اليوم التالي جاءتنا من مس لاوسون رسالة يحملها إلينا خاص.
وذكرت مس لاوسون في رسالتها أنها علمت من ايلين أن بوارو زار فيللا ليتل جرين في اليوم السابق.. ثم سألته أن يتفضل بزيارتها هناك.

فقلت اسأل بوارو:
- تري ما الذي دعا مس لاوسون إلى ترك لندن والحضور إلى الفيللا للإقامة فيها..؟
فأجابني باسماً:
- إذن فأنت تعتقد أنها جاءت لسبب شرير..؟
فقلت:
- مشكلتنا يا بوارو أننا مازلنا الآن في حيرة لا نعرف شيئاً، فأية حركة يأتيها إنسان يمكن أن نفسرها على شر الوجوه.
فقال بوارو في استخفاف وازدراء لكي يثيرني:
- لعل هذه هي مشكلتك أنت وحدك يا هاستنج، أما أنا فأشك في شخص واحد دون الجميع.
- ومن يكون هذا الشخص..؟
- بما أن المسألة لا تعدو مرحلة الاشتباه فلندع الأمر دون افصاح.
فقلت أثيره:
- هب أن القاتل عرف أنك اكتشفت سره، فهلا خطر لك أنه قد يتربص

بك محاولاً أن يقتلك، وفي هذه الحالة تموت وسرك في قلبك، فلم لا تصارحني بالاسم الذي تشتبه فيه..؟

فقال ضاحكاً:

- كي مطمئناً يا عزيزي هاستنج، فمنذ اليوم سأرتدي درعاً يقيني الرصاص.

- والقتل بالسم..؟ كيف تتوقاه..؟

- ألست صديقي، ويهمك أن لا أقتل..؟

فقلت أداعبه:

- وأنت عدوي ويهمك أن أقتل.

بعد أن فرغنا من تناول الفطور بعث بوارو إلى مس لاوسون بكلمة يخطرها بأنه سيزورها في الساعة الحادية عشرة من نفس اليوم.

ثم غادرنا الفندق، وأخذنا نتجول في القرية قليلاً، وفيما نحن واقفان أمام واجهة حانوت للمتحف إذا بمس بيبودي تظهر أمامنا فجأة.

لكزت بوارو في جنبه بطرف مظلتها وقالت له ضاحكة:

- ترى هل فرغت من وضع كتابك عن حياة الجنرال ارانديل..؟

فتأملها بوارو برهة، ثم سألها:

- كيف اكتشفت شخصيتي الحقيقية يا مس بيبودي..؟

فقالت:

- تري ماذا حسبتني..؟ امرأة عجوز بلهاء..؟ إن حيلتك لم تجز عليَّ يا مسيو بوارو، فمنذ وقع بصري عليك عرفتك على الفور، فلا أحد يمكن أن ينسي هذا الوجه ذا الشارب الكبير المفتول.

واطلقت ضحكة مجلجلة وقالت:

- أولي بك أن تحلقه يا عزيزي، فإنه كفيل بأن يكشف شخصيتك.

فأجاب:

- إني أفضل يا سيدتي أن أكون شخصاً فريداً من نوعه.

ثم ما لبثت أن أردفت في اهتمام:

- والآن انفض إلى صدرك وحدثني بالأمر كله.. لقد زرتني وألقيت على عشرات من الأسئلة بحجة أنك ستؤلف كتاباً عن الجنرال اراندل.. والآن حان دوري لكي اسأل، فهيا حدثني بما كان.. هل ماتت مس لاوسون مقتولة..؟ ومن الذي قتلها..؟

فقال لها بوارو باسماً:

- أهذا موضوع يناقش على قارعة الطريق..؟

فقالت مس بيبودي ضاحكة:

- هذا تهرب لبق من الإجابة.

ثم استطردت:

- أتكون القاتلة هي تيريزا..؟ من يدري..؟ لعلها ورثت الولع بالقتل عن أمها التي دست السم لزوجها..؟

وتابعت الحديث قائلة:

- أم يكون القالت هو الدكتور تانوا..؟ إنه رجل لطيف، ولكن ما يدرينا ما الذي ينطوي على رقته ودماثته.

وقال بوارو معقباً:

- إن لك في تفكيرك عقلية الشرطي السري ومنطقه يا مس بيبودي.

وعادت تسأله:

- وبهذه المناسبة هل قابلت الدكتور جرينجر..؟

- نعم.. منذ ساعة أو ساعتين..؟

- وكيف تلقيت ثورته الهائجة..؟

- شرحت له الأمر فاقتنع.

- هذا لان الرجال بلهاء يسهل خداعهم.
ومدت إلينا يدها تصافحنا وهي تقول:
- يبدو يا رجل أنني لن أظفر منك بشيء.
وانطلقت تتعقبها ضحكتها المعهودة المجلجلة.
مضينا بعد هذا إلى فيللا ليتل جرين، وفتحت لنا ايلين الباب مرحبة، وقادتنا إلى قاعة الاستقبال.
وأقبلت علينا مس لاوسون منفوشة الشعر، يكسو الغبار ثوبها، وقالت معتذرة:
- ارجوكم المعذرة عن سوء مظهري، فقد جئت إلى الفيللا لأفحص ما بها من أثاث وأوراق، ومنذ الصباح الباكر وأنا أعمل بلا هوادة.. فإنني مولعة بالعمل.
فقال بوارو:
- ولكنك تستطيعين الآن وقد أصبحت ثرية أن تنفضي عنك مهام العمل، وأن تخلدي إلى الراحة، وأن تقضي وقتك في الرحلات.
- هذا ما اتمناه.. نعم.. هذا هو ما اتمناه.. ولكن يجب أن أنسق البيت أولاً، فهو مليء بمئات من الأشياء الصغيرة المنسية.. لقد كان من دأب مس اراندل أن تشتري عشرات من الأشياء، وتودعها مكاناً ما، ثم تنسي أين وضعتها.
فقال بوارو:
- إذن فضعف ذاكرة مس ارandل هو السبب في أن خطابها لم يصل إليّ إلا بعد وفاتها بشهرين.
فقالت مس لاوسون في استغراب وقد اتسعت عيناها دهشة:
- خطاب مس ارandل..؟ عن أي خطاب تتحدث..؟ أتريد أن تقول إن مس ارandل كتبت إليك خطاباً لم يصلك إلا بعد وفاتها بشهرين..؟ ولكن كيف يمكن أن يحدث هذا..؟
وحدث بوارو بما كان من أمر الخطاب الذي كتبته إليه مس ارandل قبيل

وفاتها، وكيف أنها نسيت أن تودعه البريد، ثم عثرت عليه ايلين فبعثت به إليه.

حملقت مس لاوسون في وبوارو، وتضرج وجهها احمراراً، ثم صرخت في غضب:

- ايلين فعلت هذا..؟ ايلين أرسلت إليك الخطاب..؟ دون أمر مني..! هذه وقاحة منها..؟ أنسيت أنني سيدة البيت..؟

فقال بوارو يعتذر عن الخادمة المسكينة:

- لقد فعلت هذا بحسن نية.

- حسن نية..! هذا منها سوء أدب.. هذه وقاحة.. يجب أن أحاسبها على فعلتها.

وحاول بوارو أن يدافع عن الفتاة، ولكن دون جدوى، فقد استمرت مس لاوسون تقول:

- إنني سيدة البيت.. وكل شيء في البيت آل إليّ.. كان يجب أن تخطرني بالأمر.. هذه وقاحة.

وأخيرا بعد أن هدأت ثائرتها سألها بوارو:

- أنك كتبت إلى تسأليني أن أزورك، فأي خدمة أستطيع أن أقوم بها لاجلك..؟

فقالت في شيء من الارتباك والتردد:

- لقد حضرت إلى الفيللا بالأمس، وعرفت من ايلين أنك زرت البيت، ولكنك لم تخطرني بنيتك، فهل يمكن.. هل يمكن..

وأمسكت مرتبكة، فقال بوارو يفصح عما يدور في نفسها:

- أنك تريدين أن تعرفي السبب الذي حدا بي إلى زيارة الفيللا.. أليس كذلك..؟

- تماماً يا مسيو بوارو، وإن كنت آسفة لتوجيه هذا السؤال إليك..؟

وأجاب بوارو:

- أرجو يا مس لاوسون أن تصفحي عن خدعة صغيرة أوقعتك فيها،

فعندما تقابلنا أول مرة قلت لك إنني تلقيت خطاباً من مس اراندل، فبادرت أنت على الفور تقولين إن الخطاب كان طبعاً بشأن السرقة التي وقعت في البيت، أي بشأن تلك الجنيهات القليلة التي اختلسها مستر شارل من درج المكتب، ولم أحاول أنا من ناحيتي أن انفي ذلك، فاعتقدت أن هذه السرقة هي سبب قدومي.

- تماماً.. تماماً.. هذا هو ما اعتقدت.

- ولكن الحقيقة كانت غير ذلك، فإنني لم أسمع بهذه السرقة إلا منك أنت.. لقد كتبت إلى مس اراندل بشأن الحادث الذي وقع لها.

- الحادث الذي وقع لها..؟ أي حادث..؟

- حادث سقوطها فوق السلم.

فقالت مس لاوسون في استغراب ودهشة:

- ولكن ما الذي دفعها إلى الكتابة إليك عن هذا الحادث..؟ إنك شرطي سري ولست طبيباً.

- هذا صحيح، ولهذا كتبت إليّ، فإن مهنتي هي الكشف عن جرائم القتل..؟

- جرائم القتل..؟ ما الذي تعنيه بحق السماء يا مسيو بوارو..؟

- إنكم جميعاً تعتقدون أن مس اراندل وطئت كرة الكلب بوب فانزلقت قدمها واختل توازنها، وسقطت فوق السلم، ولكن الحقيقة غير ذلك.. هناك سبب آخر لوقوعها.

- كيف هذا..؟ لقد رأيت بنفسي الكرة فوق بسطة السلم.

فقال بوارو:

- إنني لا أنكر هذا.. كانت الكرة فوق البسطة، ولكن مس اراندل لم تدس عليها.. سبب الحادث خيط مشدود عبر البسطة اصطدمت به مس اراندل فوقعت.

- ولكن هذا مستحيل.. إن الكلب لا يستطيع أن يشد خيطاً وأن..

فقاطعها:

- تماماً.. وإذن فالذي شد الخيط إنسان.
فهتفت مس لاوسون في جزع وهي تلوح بيديها:
- يا إلهي..! إني لا أستطيع أن أصدق هذا.. هذا فظيع..! فظيع..! أتريد أن تقول إن شخصاً ما تعمد أن يفعل هذا..؟
- أليس الأمر واضحاً لا يحتاج إلى رد مني..؟
- ولكن مس اراندل كان يمكن أن تدق عنقها وتموت نتيجة لهذا الحادث.. هذه كأنها جريمة قتل.
- بل إنها جريمة قتل فعلاً.. لقد وجدت مسماراً مدقوقاً في جدار السلم، ومازالت ملفوفة حول رأسه بقايا الخيط الذي كان مشدودا إليه، وكان المسمار مدهونا باللون البني لا يلحظه أحد، ومازالت رائحة الطلاء ظاهرة تفوح من المسمار.
وفجأة هتفت مس لاوسون في ذهول:
- يا الهي..! أهي التي فعلت ذلك..؟ لقد بدا لي الأمر عندئذ عجيباً لم أفهم له سبباً، أما الآن فقد وضح السبب.
فسألها بوارو:
- عم تتحدثين يا مس لاوسون..؟ هل أفصحت..؟
فقالت:
- في أحد الأيام شممت رائحة الدهان، واستغربت الأمر.
- ومتي حدث ذلك يا مس لاوسون..؟
ففكرت برهة ثم أجابت:
- نعم.. في عطلة عيد الفصح عندما كان البيت مزدحماً بأقارب مس اراندل.. ولكن دعني اتذكر أول يوم شممت فيه هذه الرائحة.
وعادت تفكر مرة أخرى، ثم قالت:
- نعم.. نعم.. كان ذلك يوم الاثنين.. يوم عطلة البنوك.. كنت راقدة في

فراشي ولكنني صحوت فجأة عما إذا كان اللحم الذي اشتريته سيكفي الضيوف غداً، وما عساي أفعل أن رأت مس اراندل أنه غير كاف، ولا سبيل إلى شراء المزيد منه، لأن المتاجر جميعها مغلقة بسبب العطلة.

واستطردت مس لاوسون:

- وفيما أنا أفكر في هذه المشكلة شممت رائحة نفاذة، وخيل إليّ أنها رائحة شياط، ولكنني ما لبثت أن ادركت أنها رائحة طلاء، ودهشت كذلك، فجلست في فراشي أحاول أن أشم، وعند ذلك رأيتها.

فتساءل بوارو:

- رأيت من يا مس لاوسون..؟

فقالت:

- إن من عادتي أن أترك باب مخدعي موارباً قليلاً حتي إذا نادتني مس اراندل سمعتها.. وفي غرفتي مرآة مواجهة للباب تكشف رأس السلم وكان النور السهاري مضاء في الممشي، فلمحت في المرآة مس تيريزا منحنية على الأرض فوق الدرجة الثالثة تقريباً، فقلت في نفسي: (ما بالها يا تري..؟ أهي مريضة..؟) ولكنها، ما لبثت أن نهضت واقفة فاعتقدت أن قدمها قد انزلقت أو أن منديلها وقع منها فانحنت تلتقطه.

وقال بوارو:

- قلت إنك كنت نائمة فاستيقظت فجأة على صوت دقات خفيفة، فهل يمكن أن تكون هي صوت دق المسمار في الجدار..؟

- الآن أصبحت اعتقد ذلك يا مسيو بوارو.

- وهل أنت واثقة من أن التي رأيت صورتها على المرآة هي مس تيريزا اراندل..؟

- طبعاً واثقة.. كل الوثوق يا مسيو بوارو.

- ألا يجوز أن تكون تلك التي رأيتها هي مس تانوا أو إحدي الخادمات.

- كلا.. كلا.. أني متأكدة مما أقول.

فقال لها:

- هل يمكن يا مس لاوسون أن نعيد تمثيل المشهد الذي حدث..؟

- تمثيل المشهد..؟ ماذا تعني..؟

- أعني أن نصعد إلى مخدعك، فتروين لي قصتك مجسدة، أي بطريقة التمثيل.

وصعدنا إلى الطابق الأعلي، وجلست مس لاوسون في فراشها بعد أن واربت الباب، وقالت:

- استيقظت على صوت الدقات الخافتة، فشممت رائحة الطلاء، وجلست في الفراش أفكر في مشكلة اللحم، وفجأة رأيت صورة مس تيريزا منعكسة على صفحة المرأة وهي منحنية فوق السلم..؟

- وهل رأيت وجهها..؟

- كلا، فقد كان الوجه خارجاً عن نطاق المرآة.

- إذن فكيف عرفت أن تلك التي رأيتها هي مس تيريزا بعينها..؟

فأجابت:

- أولا كانت مرتدية روبها المنزلي الأخضر، وثانياً كان فوق صدرها الدبوس الفضي المحفور عليه الحروف الأولى من اسمها.

- وما هي هذه الحروف..؟

- الحرفان (ت. أ).. إنني أعرف هذا الدبوس حق المعرفة.

فسألها:

- هل تستطيعين أن تقسمي في المحكمة على أن التي رأيتاه هي مس تيريزا..؟

- طبعاً.. إني على استعداد لأن أشهد بذلك.

ثم أردفت تتساءل:

- ولكن هل ستوجهون الاتهام إلى مس تيريزا.

- هذا يتوقف على نتيجة التشريح.

فاشتد الانفعال بمس لاوسون، وهتفت في استنكار:

- تشريح..؟ يا الهي..! هل ستشرحون جثة مس اراندل..؟

- هذا محتمل جداً.

فقالت:

- إنه لأمر فظيع..! ولكن أسرتها لن توافق على التشريح.

- ومن قال إننا في حاجة إلى موافقة الأسرة..؟ المحكمة هي التي ستصدر أمراً بتشريح الجثة عندما يثبت أن مس اراندل ماتت مقتولة.

- ولكن مس تيريزا لم تكن في البيت عندما ماتت عمتها، فكيف يمكن أن توجهوا إليها الاتهام بالقتل..؟ يا الهي! هذا فظيع..! فظيع!

فقال بوارو:

- أرجو يا مس لاوسون أن لا تدعونا الظروف إلى اتخاذ هذا الإجراء.

ثم أردف:

- ألا زلت على استعداد لأن تقسمي على أنك رأيت مس تيريزا ليلة الحادث منحنية فوق درجات السلم..؟

- نعم.. أني على استعداد لأداء هذه الشهادة.

- وهل تقسمين على أنك رأيت هالة من النور حول رأس مس اراندل أثناء جلسة تحضير الأرواح، كما ذكرت لي الاختان تريب من قبل..؟ وهي الجلسة التي اصيبت أثناءها بالمرض الذي ادي إلى وفاتها..؟

فقالت: لم يكن ما رأيته هالة من النور، وانما كان أشبه بشريط من مادة مضيئة خرج من فمها وانعقد هالة حول رأسها، وكنت اعتقد أنه لا يلبث أن

يتشكل على صورة وجه، لولا أنها أحست في هذه اللحظة فجأة بأوجاع المرض، فانفضت الجلسة.. لقد كانت الأرواح وشيكة بأن تتجسد أمام أبصارنا.

وقال لها بوارو:

- أرجوك يا مس لاوسون أن تكتمي كل ما دار بيننا من حديث.

- ثق أنني سأكون كتومة.

وعند انصرافنا كان آخر شيء رأيناه هو نظرة بلهاء شاردة تشيعنا بها مس لاوسون ونحن في طريقنا إلى الباب.

***

تذكر جيداً..

هلوسات بنكهة الدم

الرمحي أحمد

الأمر الغامض والمريب



ما أن غادرنا فيللا ليتل جرين حتي ابتدرني بوارو وقد تجهم وجهه.

- هاستنج.. ألم يخالجك الشعور بأن في قصة مس لاوسون هذه شيئاً غامضاً مريباً..؟ شيئاً غير مفهوم..؟ خطأ ما.

فقلت:

- ماذا تعني..؟ وما عسى يكون وجه الخطأ في قصتها..؟

فأجاب:

- لا أدري.. ولكني موقن من أن هناك غلطة ما..! إن الوقائع التي ذكرتها لا تتلاءم مع منطق الأحداث.

- أية وقائع تعني..؟

- أعني رؤيتها لمس تيريزا منحنية فوق بسطة السلم.. نعم.. هناك غلطة ما، وإن كنت حتي هذه اللحظة لا أدري كنهها.

- ولكنها متأكدة تمام التأكد من أنها رأت تيريزا ارandel في هذا الوضع.

- هذا ما قالته، ومع ذلك فهناك دون شك غلطة ما.

فقلت معترضاً:

- ولكن كيف تخطئ وقد كان الضوء السهاري كافياً تستطيع معه أن تميز وجه مس تيريزا.

- ولكنها لم تر وجهها على صفحة المرآة.

- هذا صحيح فقد رأت الروب الأخضر والدبوس المثبت بصدرها وعليه الحروف الأولي من اسمها.

فقال بوارو في إصرار وعناد:

- مادامت لم تر وجه تيريزا، فهي إذن غير متأكدة.. لقد رأت روب تيريزا، ورأت دبوس تيريزا.. فاستقر في ذهنها أن المرأة التي رأتها لابد أن تكون هي تيريزا، فإذا صح رأيها وكانت المرأة هي تيريزا فإن ترابط المقدمات والنتائج يختل ويتهاوي.

وسألته:

- ولماذا أثرت في حديثك موضوع استحضار الأرواح، وأشرت إلى هالة النور التي ظهرت حول رأس مس اراندل ساعة إصابتها بالمرض المفاجيء أثناء جلسة الأرواح..؟

فأجابني في غموض:

- لأن لهذا الأمر أهميته الكبري، وسأحدثك عن ذلك فيما بعد، أما الآن فهيا بنا نسرع إلى لندن.. طر إليها بأقصي سرعة ممكنة لكي نحول دون وقوع جريمة قتل أخري.

ولم أحاول أن أسأله عن هذه الجريمة التي يتوقعها لأنني أعلم من تجاربي أنه سيلوذ بالصمت ولن يجيب وسألته:

- وفي لندن.. إلى أين تريد أن أذهب بك..؟

- سنزور قبل كل شيء مس تيريزا اراندل لنعرف منها الحقيقة.

فقلت معترضاً:

- وهل هذا معقول..؟ إنها ستنكر دون شك.

- قد يكون الإنكار أحياناً صادقاً، وقد يكون كاذباً، وهيركيول بوارو يا صديقي يستطيع أن يفرق بين الصدق والكذب.

ولم نتكلم طوال الطريق إلا قليلا، إذا كان بوارو غارقا في خواطره.

وحين بلغنا بيت بوارو تلقانا خادمه بقوله:

- إن الدكتور تانوا هنا يا سيدي، وقد مضي عليه نصف ساعة وهو في انتظارك إذ أبلغته إنك اتصلت بي تليفونيا، وإنك في طريق العودة.

ثم أردف:

- وفي الصباح الباكر جاءت سيدة تسأل عنك، وقد اكتأبت كثيرا حين عرفت أنك متغيب عن البيت، وكان ذلك قبل اتصالك بي تليفونيا.

فسأله بوارو:

- هلا وصفتها لي..؟

ووصفها، فبادرت أقول على الفور:

-إنها مسز تانوا دون شك.

وإستطرد الخادم:

- وكانت السيدة على حال شديدة من الانفعال والاضطراب، وذكرت أنه من الأهمية بمكان أن تقابلك على الفور.

فقال بوارو:

- من المؤسف أنني لم أكن موجودا لأعرف ما جاءت مسز تانوا تقضي به إلينا.. هذه ثاني مرة تحاول مسز تانوا أن تصارحنا بشيء، ثم يخوننا الحظ.

فقلت:

- لعلنا نكون في المرة الثالثة أسعد حظا.

فقال:

- والآن فلنر مايكون من شأن زوجها.

وهب الدكتور تانوا واقفا حين دخلنا عليه قاعة الاستقبال، وأخذ يعتذر إلى بوارو عن إزعاجه بهذه الزيارة المفاجئة على غير موعد.

ثم أردف:

- إنني قلق يا مسيو بوارو بشأن زوجتي.. قلق جدا.
فسأله بوارو:
- ولكن ما الذي طرأ..؟
- هل رأيتها أخيرا يا مسيو بوارو..؟
كان سؤالا عاديا، ولكن نظرة العينين التي اقترنت به هي التي أثارت الريب والشكوك.
وأجاب بوارو:
- كلا.. إني لم أرها منذ قابلتكم في الفندق.
- لقد خطر لي إنها ربما كانت قد حضرت لزيارتك.
- ولم تزورني..؟ أهناك سبب يدعوها إلى ذلك..؟
فأجاب الدكتور تانوا:
- كلا.. كلا.. ولكني لا أكتمك إنها في الوقت الحاضر شديدة الاضطراب مختلة الأعصاب.. إنها في حالة انهيار عصبي.
فقال بوارو مواسيا:
- هذا نبأ يؤسف له يا دكتور تانوا.
واستطرد الدكتور تانوا:
- إنها مصابة بما يسمي طبيا: جنون الشعور بالاضطهاد.
فقال بوارو:
- ولكن ما شأني أنا بهذا حتي نأتي لزيارتي..؟
- لقد خطر لي أن زوجتي قد تجيء لزيارتك أو أنها أتت فعلا.. وأعتقد أنها ستزعم عندك أنها في خطر مني.
- ولم تقصدني أنا بالذات.
فلاحت على شفتي الدكتور تانوا ابتسامته الرقيقة الدمثة وقال:

- لانك من أبرع رجال الشرطة السريين يا مسيو بوارو، وقد لاحظت عند مقابلتها لك أنها كانت معجبة بك ومنفعلة أشد الانفعال.

ثم استطرد يقول:

- إني مولع بزوجتي أشد الولع يا مسيو بوارو (وكان في صوته نبرة إنفعال متهدجة وهو يقول هذا) وبيننا حنان متبادل، وكان إقدامها علي الاقتران بي رغم معارضة أهلها شجاعة كبيرة منها، إذ اضطرت أن تتخلي في سبيلي عن أهلها وجميع أصدقائها، وأن تهجر بلادها لتصحبني إلى بلاد تعتقد إنني أريد أن أقتلها.

واستطرد:

- إنها حالة معروفة من حالات الاختلال العقلي، ولهذا رأيت أن أدخلها أحد المصحات النفسية.

وكان صوته نابضا بالحزن والأسي وهو يردد هذه الكلمات.

ثم نهض واقفا وهو يقول:

- أرجوك يا مسيو بوارو أن تخطرني إذا حضرت زوجتي لزيارتك.. إنني مازلت نازلا في فندق دورهام.

- وزوجتك..؟ أهي في الفندق ذاته..؟

- نعم.. ولكنها خرجت اليوم في الصباح الباكر دون أن تخطرني، ولم تعد حتي لحظة حضوري إليك.

- والأطفال..؟ أما زالوا في الفندق..؟

- كلا.. بل صحبتهما معها، وهذا ما أثار قلقي.

ثم أردف:

- إذا جاءت إليك وروت لك أنني أريد أن أقتلها فأرجوك أن لا تصدقها، فهذا من أعراض الاختلال العقلي.

وحيانا الدكتور تانوا واستدار منصرفا.

وعند الباب ناداه بوارو، وسأله:

- دكتور تانوا.. هل سبق أن وصفت لزوجتك منوم الكلورال..؟

وأجفل تانوا، واستدار قائلا:

- كلا.. إني لم أصف لها الكلورال.. ولكن لا.. هذا محتمل، ولكني أعتقد أن ذلك كان منذ فترة طويلة، ولكنها رفضت أن تشتريه، فإنها تكره الأدوية المنومة.

فقال بوارو: هذا لأنها لا تثق فيك.

وبان الغضب الشديد في وجه الدكتور تانوا، بيد أن بوارو عجل يقول: وعدم الثقة عرض من أعراض الاختلال العقلي..؟ فسرى عن تانوا وقال مؤمنا:

- طبعا.. طبعا.

وما أن انصرف الدكتور تانوا حتى اتصل بوارو بفندقه، وطلب أن يتحدث إلى مسز تانوا، فأجيب بأنها غادرت الفندق مع طفليها في الصباح الباكر، ثم رجعت وحدها في الساعة الحادية عشرة وأخذت حقائبها وانصرفت.

- وهل عرف زوجها انها أخذت حقائبها..؟

- كلا.. فقد كان عند حضورها متغيبا عن الفندق.

- وهل تركت عنوانها الجديد..؟

- كلا يا سيدي.. إنها لم تترك عنوانا.

وتناولنا الغداء في البيت، وحين هممنا بالخروج قال بوارو لخادمة:

- إذا جاءت مسز تانوا أثناء غيابي فحاول أن تسبقها في انتظاري، وإذا جاء زوجها فإياك أن تدعه يراها، أو يعرف بوجودها.



الركوع على درجات السلم

كانت تيريزا ارندل متأهبة للخروج عندما ذهبنا إلى لقائها، فقال لها بوارو معتذرا:

- أرجو أن لا تعوقك زيارتي عن الخروج إلا دقائق قليلة.

ولكنها رحبت وقالت ضاحكة:

-إنني معتادة على أن أتأخر نصف ساعة عن مواعيدي، فليس مما يهم أن أتأخر في إحدي المرات ساعة كاملة.

أما خطيبها الدكتور دونالدسون- الذي كان في قاعة الاستقبال يترقب أن تفرغ من ارتداء ثيابها- فقد بان عليه الضيق لحضورنا المفاجيء.

وسألت تيريزا:

- أرجو أن تكون قد قابلت المحامي بيرفيس، فما الذي قاله يا تري..؟

فأجابها بوارو في غموض:

- هناك احتمالات مختلفة يا آنسة.

وتطلعت تيريزا إلى خطيبها الذي كان منزويا في أحد أركان القاعة يطالع كتابا، ثم نقلت بصرها إلى بوارو، فأدرك من هذا أنها تحذره من الإفاضة في الموضوع أمام خطيبها.

واستطرد بوارو:

-إنني عائد توا من زيارة مس لاوسون في فيللا ليتل جرين، ولذلك أحب أن أوجه إليك سؤالا: هل حدث في ليلة الاثنين ١٣ أبريل أي ليلة عطلة البنوك إنك كنت راكعة فوق درجات السلم العليا، وذلك بعد منتصف الليل حين أوي الجميع

إلى أسرتهم..؟

فقالت تيريزا:

- يا له من سؤال عجيب يا مسيو يوارو..؟ ولماذا بحق الشيطان أركع على درجات السلم..؟

- ليس السؤال لماذا كنت راكعة، وإنما السؤال هو: هل فعلت ذلك حقا..؟

فهزت رأسها وقالت:

- إلا ما أسخفه من سؤال..! ألست ترى هذا يا عزيزي ريكس..؟

ورفع الدكتور دونالدسون رأسه عن الكتاب الذي بين يديه وقال:

- معذرة يا مسيو بوارو، ولكن ما هو هدفك من وراء هذا السؤال..؟

فأجابه بوارو في صراحة ودون مواربة:

- لقد دق أحدهم مسمارا في الجدار عند رأس السلم، ودهنه بطلاء بني حتي يحاكي لون الجدار.

فقالت تيريزا:

- فليكن.. فلنفرض أن شخصا ما دق هذا المسمار، فما أهمية ذلك..؟

- أهمية ذلك أنه في مساء اليوم التالي الثلاثاء ربط أحدهم خيطا في المسمار ثم ربطه في سياج السلم عبر البسطة، فكانت النتيجة أن تعثرت مس اراندل في الخيط، واختل توازنها، فتدحرجت على السلم إلى أسفله، وكادت عنقها أن تدق.

فقالت مس تيريزا مبهورة الأنفاس:

- إنك مخطئ في هذا يا مسيو بوارو، فقد تعثرت عمتي في كرة بوب التي كانت ملقاة فوق البسطة.

- بل أنت المخطئة يا آنسة، فإنها تعثرت في الخيط وليس في الكرة.

فانبري الدكتور دونالدسون متدخلا في الحديث بقوله:

- وأي دليل لديك على صحة هذه الواقعة..؟

- الدليل هو وجود المسمار نفسه، ثم خطاب مس اراندل اليّ بخطها وتوقيعها، وأخيرا شهادة مس لاوسون وهي شاهدة عيان.

وهتفت تيريزا:

- أتزعم هذه المعتوهة أنني أنا التي فعلت ذلك..؟

اكتفي بوارو بأن أومأ برأسه مؤمنا.

فقالت مس تيريزا في غضب وانفعال:

إنها كاذبة هذه المرأة..! لا شأن لي إطلاقا بهذا.

- هل كنت راكعة على السلم لأي سبب آخر غير دق المسمار..؟

إني لم أركع على السلم أبدا.. لا لهذا السبب، ولا لغيره.

- أرجوك يا آنسة أن تشحذي ذاكرتك.

فأجابت:

- طوال إقامتي عند عمتي كنت لا أغادر غرفتي أبدا حين آوي إلى فراشي.

- ولكن مس لاوسون رأتك فوق الدرج بعد منتصف الليل.

- عليها اللعنة.. إنها إما أن تكون كاذبة لغرض في نفسها، أو أن بصرها خدعها.

ثم أردف:

- ألا يحتمل أنها شاهدت شخصا آخر.. بيلا أ إحدى الخادمات، فاشتبه عليها الامر.

- إنها تؤكد إنها رأتك أنت.

- إنها إذا كاذبة مفترية.

- لقد تعرفت على روبك الأخضر والدبوس الذي تتحلين به دبوس؟ أي دبوس..؟

- دبوس محفور عليه الحروف الأولي من إسمك، فهل لديك حقيقة دبوس بهذه الأوصاف..؟

- ولم أنكر..؟ نعم أنا لدي دبوسا بهذا الوصف، وسآتيك به.

وعادت بالدبوس بعد لحظات.

كان دبوسا عاديا مصنوعا من الفضة، عبارة عن حلقة مستديرة مفرغة، يتوسطها حرفان كبيرا الحجم هما الحرفان الأولان من اسمها: (ت. أ.) ولم يكن هناك شك في كبر حجمها إنه كان في وسع مس لاوسون أن تراهما منعكسين على صفحة المرآة.

وقالت مس تيريزا:

- لقد ظهر هذا الدبوس في الأسواق منذ عامين، وكان ابتكارا رائعا استرعي الأنظار، ولكنني لم أعد أتحلي به الآن وأنا في الطريق، لأنه انتشر وفشا وأصبح مبتذلا يتحلي به حتي أفقر النساء بعد أن رخص ثمنه إلى أقل من ربع الثمن الأصلي. ولذلك اكتفيت بأن علقته في صدر روبي المنزلي.

- وهل كان هذا الدبوس معك أثناء زيارتك لعمتك..؟

- ربما.. أظن ذلك.

- وهل أعرته لأحد وأنت هناك..؟

- كلا.. بل كان مثبتا في صدر الروب،

- أيحتمل أن يكون أحد نزعه من الروب، ثم أعاده مكانه في الصباح..؟

فتطلعت تيريزا إلى بوارو قائلة:

- أتريد يا مسيو بوارو بهذا السؤال أن تلقني دفاعا ألقيه في المحكمة..؟ أتريد أن توحي إليَّ بأن أدافع عن نفسي بأن شخصا ما أراد أن يلقي لي تهمة كاذبة..؟ كلا يا مسيو بوارو.. مثل هذا الغرض مستبعد جدا.. من هذا الذي يسعي إلى تلفيق تهمة ضدي..؟

وتناول بوارو الدبوس، وشبكه في صدر جاكتته، ثم وقف أمام المرآة يتأمل نفسه.

وفجأة هتف مغمغما:

- يا إلهي..! لقد تجلي السر..! ألا ما كان أغباني..!

ثم ارتد إلى تيريزا، وناولها الدبوس وهو يقول:

- إنك صادقة يا مس تيريزا في كل ما قلت.. نعم إن هذا الدبوس لم يخرج من حوزتك لحظة واحدة.. إني آسف.. لقد كنت مخطئا في تصوراتي.
وسألته:
- أتريد أن توجه إليّ اسئلة أخري..؟
وأجابها بالنفي، ومشينا إلى الباب نزعم الانصراف.
وفجأة قال بوارو:
- إن المسألة قد تدعو إلى تشريح جثة عمتك.
وأجفلت تيريزا، افلتت أصابعها الدبوس فوقع على الأرض.
وغمغمت في فزع:
- تشريح جثة عمتي..؟ ما هذا الذي تقول..؟
فأجاب:
- نعم.. إن تطور الأحداث قد يؤدي إلى هذا.
- ولكن من المستحيل أن يتم هذا دون موافقة الاسرة، وليس فينا من يرضي بهدا الإجراء.
فقال:
- إن من حق المحكمة أن تأمر بتشريح الجثة دون حاجة إلى موافقة الأسرة.
وهتفت:
- ياالهي..! أما من وسيلة للحيلولة دون إجراء هذا التشريح..!
فانبري الدكتور دونالدسون يجيب بقوله:
- هذا يتوقف على السبب الذي أدي إلى وفاة مس اراندل. ولا يداخلني أي شك في أن موتها كان طبيعيا بسبب مرض مزمن. وإن كنت أري أنه لا داعي لأن تنزعجي إذا تقرر تشريح الجثة.
فقالت تيريزا:

- إنني أذكر يا ركس أنك حدثتني يوما عن أرنب من أرانب التجارب مات نتيجة لحقنة بمادة أصابت وظائف الكبد باختلال شديد، وأعتقد إنك ذكرت لي إنك حقنت الارنب بدم شخص مصاب بضمور الكبد، وبعد ذلك حقنت بدم الأرنب شخصا سليما فأصيب بالمرض.

فقال دونالدسون:

- لم أقل أبدا إنني قمت بمثل هذه التجربة فعلا، ولكن أردت فقط أن أضرب لك مثالا على التجارب المعملية التي يمكن إجراؤها.

وتحولت تيريزا إلى بوارو تناشده أن يبذل كل ما في وسعة للحيلولة دون تشريح جثة عمتها. وعند انصرافه راحت تلح عليه متوسلة أن يولي هذا الأمر كل اهتمامه ووعدها بوارو بأن يبذل أقصى جهده.



مسز تانو

لم يعد لدي شك الآن في أن مس ارانديل ماتت مقتولة، وأن تيريزا تعرف ذلك.
كنت في البداية أعارض بوارو في هذا الرأي، أما الآن فعدت أقره على نظريته واستنتاجاته.
ها هي ذي تيريزا خائفة يرعبها أن تشرح جثة عمتها، فهل كانت خائفة علي نفسها، أم على شخص آخر..؟ أو بعبارة أدق: أكانت خائفة على خطيبها ذلك الطبيب الشاب..؟

أتكون مس ارانديل ماتت ميتة طبيعية (في ظاهرها)، ولكنها في حقيقة الأمر حقنت خفية بجرثومة مرض معين فغزا الداء جسمها وقضى عليها..؟
ان دونالدسون طبيب عالم مولع بالأبحاث وإجراء التجارب، والأبحاث تفتقر إلى المال الوفير، فاذا ما ماتت مس ارانديل استولت خطيبته على نصيبها من الميراث، فينفسح المجال أمامه لاشباع هوايته العلمية.
ولكن من الذي دق المسمار في جدار السلم..؟ لاشك أن تيريزا هي التي فعلت ذلك حتي تعجل بالميراث، فإنها تبدو شديدة الولع بطبيبها الشاب، ولا شك إنها تريد أن تقدم إليه العون في أبحاثه العلمية بأن تمنحه المال الذي ينقصه.
إن طبيعة الجريمتين مختلفة، فشد الخيط عبر السلم جريمة تصدر عن عقلية نسائية، أم حقن الضحية بمرض قاتل جريمة لا تخطر الا على طبيب عالم.
ولماذا أشارت تيريزا إلى ما حدثها به دونالدسون عن حقن أرانب التجارب بمادة الوباء الكبدي..؟ أتراها تعلم أن خطيبها هو القاتل الخفي، أم إنها ترمي

إلى هدف معين..؟

كانت هذه الخواطر تصطحب في رأسي وأنا أقود السيارة، وانتزعت نفسي من هذه الدوامة وسألت بوارو: والآن إلى أين..؟

فأجاب: إلى مسكني، فلعل مسز تانوا عادت تنشد مقابلتي.

وعند هذا اتخذت خواطري اتجاها آخر.

اذا كان دونالدسون وتيريزا هما المتهمان، فما هو موقف هذه المرأة الأخري مسز تانوا..؟ إنها لغز غامض محير.. ما الذي تطويه في نفسها وتريد أن تفضي به إلى بوارو..؟ ولماذا كان زوجها الدكتور تانوا حريصا على أن يحول دون لقائها ببوارو، حتي لقد فكر في أن يودعها أحد المصحات بعيدا عن متناوله..؟

وتحولت إلى بوارو أسأله: ما رأيك..؟ أتريزا حقا هي القاتلة..؟ أعني أهي التي شدت الخيط عبر الدرجات..؟

فأجابني: اذا كانت مس لاوسون صادقة في روايتها عن رؤيتها تيريزا منحنية فوق درجات السلم بعد منتصف الليل، فيجب أن لا تنسي إنها تعرفت عليها بواسطة الدبوس المثبت بصدر الروب الأخضر.

فقلت مؤمنا: هذا صحيح.

إذن فلا تنسي أنه يمكن انتزاع هذا الدبوس من الروب خفية، ثم إعادته إلى مكانه بعد الفراغ من دق المسمار.

- ولكن تيريزا أكدت لك أن الدبوس لم يخرج من حوزتها لحظة واحدة.

فقال بوارو: وأظنها في هذا على حق، فتريث برهة حتي نصل إلى مسكني، وعندها سأقوم بتجربة أشبع بها فضولك.

وقال لنا خادم بوارو وهو يفتح لنا الباب:

- مسز تانوا لم تحضر، ولم تتصل تليفونيا.

واتصل بوارو بالدكتور تانوا في فندق دورهام، وسأله عن زوجته، فرد عليه

بأنها لم تعد إلى الفدق بعد، وإنها حضرت في غيبته وأخذت حقائبها.

وقال له بوارو:

- إذا أردتني أن أبحث لك عنها فإنني رهن مشيئتك، وأنت تعلم أنني شرطي خاص كتوم على عكس الشرطة الرسمية.

فأجابه تانوا: كلا.. كلا.. شكرا لك.

وأعاد السماعة مكانها وتحول إلى قائلا:

- إنه لا يعرف مكانها.. وقد تكون مفهوما أن يرفض إبلاغ الشرطة حتي لا يصبح اسمه مضغة في الأفواه، أما أن يرفض خدماتي، فهذا هو الشيء الذي لم أدرك سره.

فتساءلت: أتراه صادقا في قوله أن زوجته مصابة باختلال عقلي..؟

- إنه مسرف في المبالغة يا عزيزي.. قد تكون مسز تانوا مصابة باضطراب عصبي، ولكن ليس إلى الدرجة التي تدعو إلى إيداعها المصحات.

وقلت:

- لقد تناول دونالدسون العشاء في فيللا ليتل جرين ليلة الحادث- أفلا يجوز أن يكون هو الذي قام بشد الخيط عبر السلم.

إن دونالدسون ذو عقلية علمية ليس من شأنها أن تفكر في هذه المكيدة البسيطة ذات الطابع النسائي، ولذلك أستبعد تماما أن يكون له شأن بمحاولة القتل الأولي.

فقلت: إذن فقد قام شخصان مختلفان بمحاولتي القتل، وكان كل منهما يعمل مستقلا عن الآخر.

- ألا تري أن ذلك يكون مصادفة عجيبة..؟ إن القاتل في الحالتين شخص واحد.

- إذن فمس تيريزا اراندل هي القاتلة في الحالتين..؟

- ومن أنبأك بهذا يا صديقي العزيز..؟

- ألم تقل مس لاوسون إنها رأت تيريزا وهي.. فقاطعني في ملل:
- يا إلهي..! مس لاوسون قالت..! مس لاوسون رأت..! بالله عليك دعك من مس لاوسون وحكاياتها.

ثم أردف:

- لحظة واحدة.. إني أريد أن أجري أمامك تجربة صغيرة.

وجاء بوارو بقطعة من الورق المقوي، وأخذ يقص أطرافها ويشكلها بطريقة معينة، ثم عرضها علي، فإذا بها صورة مطابقة للدبوس الذي تملكه مس تيريزا: حلقة كبيرة يتوسطها حرفان كبيرا الحجم هما (ت. أ.)، أي الحرفان الأولان من اسم تيريزا اراندل.

وشبك بوارو الدبوس في صدره وقال لي:

- لقد روت لنا مس لاوسون أنها رأت في صفحة المرآة تيريزا منحنية فوق درجات السلم، وكانت وسيلتها إلى التعرف عليها هي هذا الدبوس المحفور عليه الحرفان الأولان من أسمها: (ت.أ.)، أليس كذلك؟

فأجبت: تماما.. هذا هو ما أكدته لنا.

فاستطرد بوارو:

- ها هو الدبوس معلق فوق صدري، وعليه الحرفان (ت.أ)، والآن انظر يا صديقي إلى المرآة، وخبرني بما تري.

وتطلعت إلى المرآة، وهتفت في دهشة:

- يا إلهي..! إنني أري شيئا آخر مختلفا.

فسألني بوارو:

- ما الذي تراه..؟
- الحرفان.. ولكنهما ليسا: (ت.آ)، وإنما هما الحرفان: (أ.ت.)،
- تماما يا صديقي.. تماما.. لأن المرآة تعكس الصور مقلوبة.. فالحرفان

اللذان رأتهما مس لاوسون لم يكونا في الواقع في أصلهما هما الحرفان: (آ.ت)، أي (ت.أ)، فأقسمت أن المرأة المنحنية فوق السلم هي تيريزا اراندل لأن اسمها يبدأ بهذين الحرفين.

فهتفت في دهشة واستغراب:

- يا الهي..! إذن فصاحبة الدبوس لم تكن تيريزا اراندل، وإنما امرأة أخرى يبدأ أسمها بالحرفين، (آ.ت.)..؟

- تماما يا صديقي.. وهذا هو السبب في إنني قلت لك إن في رواية مس لاوسون عن الدبوس غلطة ما لا أدري كنهها غلطة لا تتلاءم مع اعتبار تيريزا هي القاتلة. ولكني لم أفطن إلى هذه الغلطة إلا عندما أخذت الدبوس من تيريزا وشبكته في صدري، وتطلعت إلى نفسي في المرآة.

ثم أردف ضاحكا: إن هيركيول بوارو رغم عبقريته قد يصاب بالغباء في بعض الأحيان.

ودق جرس التليفون في هذه اللحظة.

ولبي بوارو الرنين، وسمعته يقول:

- حسنا يا دكتور دونالدسون.. لا مانع لدي.. إذن سأقابلك غدا في الساعة الثانية بعد الظهر.. إلى اللقاء يا دكتور.



الســـــر

عندما جئت أزور بوارو في صباح اليوم التالي عقب فراغي من تناول الفطور وجدته جالساً إلى مكتبه منهمكاً في الكتابة، وقد فرغ من تسطير بضعة أفرخ من الورق، وسألته:

ـ فيم أراك منهمكاً..؟

فأجاب:

ـ أدون قصة الجريمة التي نحن بصددها.

- وما الداعي..؟ أتخشي أن يزيحك القاتل من الطريق، فتموت وسرك في حنايا صدرك..؟

- إن القتل يا عزيزي هاستنج لعبة خطرة، ومن قتل مرة لا يتورع عن شيء.

وسألته:

- أما من انباء جديدة..؟

- اتصل بي دكتور تانوا تليفونياً وأخبرني أن زوجته لم تعد بعد.

فقلت:

- أتعتقد يا بوارو أنها قتلت..؟

فأجاب:

- لكم أتمني أن أعرف أين هي الآن..؟

- ما يدرينا أنها قد تعود جثة هامدة ممزقة الأشلاء مشحونة داخل حقيبة تسيل منها الدماء.

فقال في أقتضاب:

- إنني أرى على أية حال أن الدكتور تانوا يسرف في القلق بغير مبرر.. والآن هيا بنا فاني أريد أن أزور مس لاوسون مرة أخري.

- ومضينا على الفور إلى مسكن مس لاوسون في لندن.

ورحبت بنا مس لاوسون في مودة وهي تقول:

- معذرة يا مسيو بوارو إن أنا قابلتك بشعر مشعث، فقد تضاعف عبء العمل فوق أكتافي بقدوم بيلا وأولادها..

فقاطعها بوارو متسائلاً:

- ماذا تقولين..؟ أمس بيلا هنا..؟

- نعم.. فقد جاءت مع ولديها صباح اليوم.. إنها على خلاف مع زوجها.. ذلك الطبيب اليوناني مستر تانوا، ولذلك قررت أن تهجره، بل إنها لا تريد أن يعرف أنها مقيمة عندي.

- إنها قلقة بشأن الأولاد، فهي تخشي أن ينتزعهم منها، وأن يصحبهم معه إلى بلاد الحبشة.. مسكينة بيلا.. تصور أنه ليس معها نقود على الإطلاق، ولا تدري أي مكان تلوذ به، أو ما الذي يمكن أن تفعله.. إنها تريد أن تبحث عن عمل، ولكن يا مسيو بوارو لم تخلق لهذا، ولم تتدرب أبداً على القيام بأعباء أية وظيفة.

وسألها بوارو:

- ومتي هجرت زوجها..؟

- بالأمس، وقد امضت ليلتها في فندق صغير بالقرب من محطة بادنجتون، وحضرت إليّ اليوم تنشد معونتي.

- وما الذي تنوين بشأنها..؟ هل ستقدمين إليها يد المساعدة..؟

- الواقع يا مسيو بوارو أنني أشعر أن الواجب يقضي عليَّ بذلك، وإن كان مسكني ضيقاً لا يتسع لنا جميعاً.

فقال بوارو:

- يمكنك أن تسمحي لها بالإقامة في فيللا ليتل جرين.

- هذا ممكن طبعاً، ولكنها تخشي أن تخطر هذه الفكرة ببال زوجها قيباغتها هناك، ولذلك اتفقنا على أن تنزل على حسابي في فندق ويلنجتون في شارع الملكة، وقد حجزت لنفسها غرفة هناك منتحلة اسم (مسز بيترز)، كما أنني أنزل لها عن جزء من ثروتي.

- إنني أحب أن أقابل مسز تانوا، فقد حضرت بالأمس إلى مسكني لمقابلتي، ولكنني كنت غائباً عن الدار.

- حقاً..؟ أنها لم تخبرني بذلك.

وغادرت مس لاوسون الغرفة، وبعد برهة دخلت علينا مسز تانوا. وقد أثارت هيئتها دهشتي، فقد كانت هناك هالة سوداء تحت عينيها، وكانت في عينيها نظرة ناطقة بالرعب والهلع.

وبعد أن حياها بوارو في رقة ودماثة قال لها:

- أيمكننا أن نتبادل الحديث قليلاً يا سيدتي..؟ إنك جئت بالأمس تزورينني، فما الذي دفعك إلى زيارتي..؟ إنك جئت طبعاً لتفضي إليّ بشيء في نفسك، فما هو يا تري..؟

فغمغمت:

- تمنيت لو أنك كنت موجوداً إذ ذاك.

- إنني الآن رهن إشارتك على أية حال.

ولاذت مسز تانوا بالصمت، ومضت تفرك يديها في اضطراب.

وقال لها بوارو:

- أرجوك يا سيدتي أن تصارحيني بما تريدين:

فأجابت:

- كلا.. كلا.. أني لا أجسر.

- هل أنت خائفة..؟ ولكن ممن تخافين..؟ أهو زوجك..؟
فأومأت برأسها قائلة:
- طبعاً.. إنه هو.. وإنه عرف أنني تحدثت إليك لاحاق بي خطر شديد.
وساد الصمت برهة قصيرة قال بعدها بوارو:
- لقد زارني زوجك بالأمس يا سيدتي.
واطلت من عينها نظرة حافلة بالذعر، وهمست:
فأجاب بوارو في مواربة واحتراس:
- قال إنك مضطربة إلى حد كبير.
فهزت رأسها قائلة:
- كلا.. إنه لم يقل ذلك.. إني متأكدة.. لابد أنه قال إنني مجنونة، أو أنني على شفا الجنون.. إنه يريد أن يحبسني في إحدى المصحات حتي لا أتكلم.
- وعن أي شيء تتكلمين..؟
فهزت رأسها، ومضت تفرك أصابعها في عصبية، وهي تردد:
- لا.. لا.. إني خائفة.
لا تخافي شيئاً يا سيدتي.. إني إلى جانبك، أدافع عنك واحميك.
وأخذ جسمها يرتعد انفعالاً، ثم انفجرت تقول:
- منذ سنوات وأنا ألاحظ أشياء غريبة، مريبة، ولكني صبرت وتغاضيت حفاظاً على الأولاد.. أما الآن فلم أعد أطيق أن أحتمل.. نعم.. سأختفي بعيداً أنا والأولاد، ولن ادعه يقف لي على أثر.. أن مس لاوسون ستساعدني.. إنها امرأة طيبة كريمة القلب.
ثم عادت تسأل بوارو:
- ما الذي قاله زوجي عني..؟ أقال إنني أهذي..؟ قال إنني مصابة بالهلوسة..؟
وأجابها بوارو:

- بل قال إنك تغيرت عما كنت، وأنك تتخيلين أشياء لا وجود لها.

- أهذا ما قاله..؟ كلا يا مسيو بوارو.. إنني لا أتخيل.. كل ما هنالك أنني افتقر إلى الدليل. من ذا الذي سيصدقني، ولا دليل لدي. بل إنهم سيصدقونه إذا ما رماني بالجنون، لأنه طبيب يدرك معني ما يقول.

وساد الصمت برهة، ثم مال إليها بوارو، وسألها في نبرة رسمية:

- هل ترتابين يا سيدتي في أن زوجك قتل مس اميلي ارانديل..؟

وجاءنا الجواب حاسماً وفورياً:

- إنني لا أرتاب، بل أعرف.. إنني أعرف أنه هو الذي قتلها.

- إذن فالواجب يقضي عليك بأن تتكلمي.

- لا أدري، ولكنه قتلها على أية حال.

- ولكي اصدقك، فتكلمي.. كيف قتلها..؟

- إذن فانت لا تعرفين الطريقة التي استخدمها..؟

- كلا، ولكنه شيء فعله يوم الأحد السابق لوفاتها حين زارها وحده دون أن يصحبني.

- ولكنك لا تعرفين على وجه التحديد ما فعله..؟

فلما أجابت نفياً قال لها بوارو:

- معذرة يا سيدتي، ولكن أني لك أن تكوني متأكدة؟

- إني متأكدة.. متأكد تماماً.

وهبت مسز تانوا فجأة واقفة وهي تردد في انفعال:

- كلا.. كلا.. لا أستطيع أن اتكلم.. إنه والد أطفالي على أية حال.. محال أن أتكلم.

وعلا صوتها كأنها تصرخ وتصيح، وفتح الباب، وأقبلت مس لاوسون مهرولة، والانفعال باد في قسمات وجهها.

- بيلا.. حبيبتي.. ألا يحسن بك أن تتناولي قدحاً من الشاي..؟ أو كأساً من البراندي..؟

وهزت مسز تانوا رأسها نفياً، وارتسمت على شفتيها ابتسامة واهنة وقالت: إنني بخير.. شكراً لك.. لشد ما تعطفين عليّ..! ليت شعري ما عساي كنت صانعة لولاك.

فقالت مس لاوسون:

- ألا كفي يا ابنتي عن ترديد هذا الحديث.. وحسبك بكاء.. أن الأمور ميسرة وستكون على ما يرام.. حدثي مسيو بوارو بما في نفسك، فإنه رجل حكيم يستطيع أن يمنحك النصيحة المثلي.. آه.. ها هو الجرس يدق.. من القادم يا تري..؟

وغادرت الغرفة مسرعة، وعادت بعد لحظات والروع باد في وجهها، وهمست: إنه زوجك يا عزيزتي بيلا.. اطمئني.. اطمئني.. لم أخبره بأنك موجودة هنا.

وهرعت مسز تانوا إلى باب صدر الغرفة وهي تقول:

- لا تذكروا له إنني هنا.

وتوارت خلف الباب مسرعة، وما لبثت أنا وبوارو أن لحقنا بها، فإذا بنا في ردهة صغيرة داخلية.

وأرب بوارو الباب قليلاً وقد أرهف السمع، ثم التفت إلى مس تانوا وقال هامساً: الجو خال.. لقد دخل إلى قاعة الاستقبال، فهيا بنا نتسلل إلى الخارج.

عبرنا البهو على حذر، وفتحنا الباب الخارجي في احتراس، وخرجنا إلى الطريق العام، ومشينا مسرعين في اتجاه فندق والنجتون الذي تنزل فيه مسز تانوا وأطفالها.

وقال لها بوارو ونحن جلوس في بهو الفندق:

- والآن اعيريني سمعك يا مسز تانوا..

فقالت مقاطعة: أرجوك يا مسيو بوارو.. إنني لن أفضي إليك بكلمة واحدة.. حسبك ما صارحتك به حتي الآن.

فقال لها:

- أرجوك أن تنصتي إليّ.. هبي أنني أعرف كل ما تعرفينه أنت، أفليس في ذلك ما يغير نظرتك إلى الأمور..؟ هبي أنني خمنت جميع الحقائق التي

تعرفينها، فما يكون رأيك عندئذ..؟

فتطلعت إليه في ريبة وشك، فعاد يقول:

- إنني لا اخدعك يا سيدتي، ولا أحاول أن استدرجك.

ثم أردف مستطرداً في نبرة هادئة:

- نعم.. إنني أعرف الحقيقة.. ولست في هذا أموه عليك أو أكذب، فقد دونت هنا كل ما لدي، فخذي هذا التقرير واقرأيه.

وتناول من جيبه مظروفاً دفع به إليها، وكان هو نفسه ذلك المظروف الذي رأيته في ذلك الصباح يودعه الأوراق التي كان منهمكا في تسطيرها عند زيارتي له عقب الفطور.

واستطرد بوارو:

- إن جميع الحقائق مدونة هنا، فبعد أن تطلعي عليه، ستتأكدين أن لا شيء كان خافياً علي، فأرجوك عند هذا أن تتصلي بي تليفونياً وتصارحيني برأيك.

وتناولت منه مسز تانوا المظروف في تخاذل ووضعته على ركبتيها.

واستطرد بوارو:

- إن من الأهمية بمكان أن لا يعرف زوجك الفندق الذي تنزلين فيه، فنصيحتي إليك أن تغادري هذا الفندق على الفور، وأن تنزلي في فندق كونستون.

- ولكن مس لاوسون امرأة كتوم ولن تفضي إليه بأنني أقيم هنا.

- انسيت أن زوجك رجل داهية يستطيع بسهولة ان يستدرج مس لاوسون إلى الحديث..؟

فأومأت برأسها موافقة، فاستطرد بوارو:

- هيا اصعدي وعودي بحقائبك، والزمي فندقك الجديد ولا تبرحيه لأي سبب كان.

وعادت مس بيلا بعد لحظات بحقائبها يصحبها طفلاها، واستقلت مركبة إلى فندق كونستون، مضت بها ونحن واقفان على الافريز نتابعها ببصرنا حتي ابتعدت.

الأمر المستحيل

بعد ظهر اليوم التالي جاء الدكتور دونالدسون يزورنا في الساعة الثانية ظهرا، طبقا للموعد المحدد.
وبعد تبادل التحية المألوفة قال دونالدسون في اقتضاب:
- إن غرضي من هذه الزيارة يا مسيو بوارو هو أن أتأكد من حقيقة موقفك.
- والأم انتهت تحرياتك يا تري..؟
- لقد عرفت أنك شرطي سري أمين ونزيه، وفوق الشبهات.
- شكرا لك يا دكتور.
- ولذلك حيرتني بعض تصرفاتك، فرأيت أن أواجهك بالحقيقة في صراحة، ودون مواربة.
تكلم فإني مصغ اليك.
- إنك ألقيت إلى مس تيريزا اراندل كلاما فهمت منه أنه يمكن إلغاء الوصية. وأنا وإن لم أكن رجل قانون إلا أني أستطيع أن أقطع أن الغاءها مستحيل.
فقال بوارو باسما: مجرد أكذوبة صغيرة.
- ولكن لابد أن لك هدفا من وراء هذه الأكذوبة، وإن كان هذا الهدف قد فات على مس تيريزا ولم تفطن إليه.
- يبدو يا عزيزي الدكتور أنك مطلع على خفايا مس تريزا وبواطن نفسها.
فابتسم الدكتور دونالدسون وقال:

- لعلي أعرف عنها أكثر مما تعرف هي عن نفسها.. إنها وأخاها شارل يعتقد أنهما أقنعاك بأن تعمل في خدمتها سعيا وراء إلغاء الوصية ولو بطريقة ملتوية. ولهذا أحب أن أقول لك في صراحة ودون مواربة إن شارل أفاق مغامر مجرد من الضمير، أما تيريزا فقد ورثت عن أمها بعض طباعها الفاسدة المنحلة.

فقال بوارو: أهكذا تتحدث عن خطيبتك كأنها أرنب من الأرانب التي تجري عليها تجاربك العلمية..؟

وأستطرد دونالدسون: إنني أحب تيريزا ارندل، ولكن عيوبها لا تخفي عليَّ.

فقال له بوارو: وهل تعلم أن تيريزا متيمة بك، وإنها لا تسعي إلى المال إلا لكي ترضي مطامحك العلمية.

- إنني أدرك هذا طبعا، ولكنني لن أسمح لنفسي أبدا بأن أدع تيريزا تتورط من أجلي في مسالك مخالفة للقانون.. إنها مازالت طفلة غريرة، ومن واجبي أن أقوم سلوكها.

وقال بوارو: فلنعد إلى ما كنا فيه.. لست أنكر إنني ظفرت بثقة مس تيريزا عن طريق خدعة صغيرة، اذ أقنعتها بأن في وسعي إلغاء الوصية.

- إنها تعتقد أن المال يمكن أن (يشتري) أي إنسان، وفي سبيله يقدم المرء على اي شيء.. أما شارل فهو نفسه الذي لا يحجم عن شيء من أجل المال.

- إن لك في صهرك رأيا عجيبا.

فقال دونالدسون: لإني لا أحب أن أخدع نفسي.

ثم استطرد: وقد خرجت من سلوكك حيالهما بأنك ترتاب في أن لأحدهما -شارل أو تيريزا- يدا في موت مس ارندل. وأشارتك إلى تشريح الجثة لم يكن إلا مجرد خدعة أردت بها أن تتبين وقع الأمر في نفس تيريزا ومدي رد الفعل عندها. ولكنني أعتقد إنك لم تتخذ أي إجراء في هذا الصدد.

فقال بوارو: لكي أكون صريحا معك يجب أن أقول إنني حتي الآن لم أطلب تشريح جثة مس ارندل.

- وهذا ما دار في خلدي، ولكن ما الذي تنتظره.. لم لم تقم بهذا الإجراء حتي الآن..؟

- لإنني مازلت أترقب دليلا يدعم شكوكي.

ورن جرس التليفون في هذه اللحظة فأومأ إلى بوارو بأن ألبي النداء.

كانت مسز تانوا هي التي تتكلم.

- قالت: كابتن هاستنج..؟ أرجوك أن تبلغ مسيو بوارو أنه على حق في كل ما كتبه في تقريره، وإنني قررت أن أتكلم، وأن أفضي بكل ما عندي. فليحضر غدا في الساعة العاشرة إلى فندقي.. فندق كونستون، وسوف أقدم إليه كل ما يريد مني.

- حسنا.. أذن إلى العاشرة صباح الغد.

وعاد الدكتور دونالدسون يقول:

- أذن فأنت تعتقد أنك بصدد قضية قتل..؟

فأجابه بوارو:

-هذا الأمر لا شبهة فيه.

- ولكن يخيل إليّ أن هناك شيئا من الشك يخامرك.

فقال بوارو:

- إما إنها قضية قتل فلست أشك في هذا لحظة واحدة. والشك لا يخامرني إلا بالنسبة لشخصية القاتل. ولكن غدا سيكون لدي الدليل القاطع.

فابتسم دونالدسون ابتسامة ناطقة بالتهكم وقال:

- غدا..؟ إن غدا يا مسيو بوارو وهو بعيد طويل، وما يدرينا كيف تتطور الاحداث حتي يأتي الغد..!

فقال بوارو في اقتضاب:

- لعل هذا هو ما تظنه أنت، أما أنا فأعلم أن (الغد) قريب.. قريب جدا.. بل إنه لأقرب مما تتصور أنت.

الإقتراب من الحقيقة

سألني بوارو وقد انصرف الدكتور دونالدسون: أكان هذا التليفون من مسز تانوا..؟

فتطلعت إليه في دهشة وقلت: نعم..؟

فلم يجب بوارو على سؤالي وإنما قال:

- إذن فغدا في العاشرة ينجلي الغموض، وينزاح الستار عن القاتل المجهول.

فقلت: إذن فلنحاول حتي يحين الغد بأحداثه أن ننسي هذه القضية وأن لا نطرق الحديث عنها.

- أصبت، فهيا بنا نقضي الامسية في إحدى دور السينما.

وفي التاسعة من صباح اليوم التالي وبوارو جالس إلى مائدة الفطور يفحص بريده اليومي كما هو شأنه المألوف صلصل جرس التليفون، فأسرعت أجيب النداء.

وسمعت صوتا نسائيا لاهثا يقول:

- آه.. أهذا هو أنت يا كابتن هاستنج..؟

- نعم.. وهل أنت مس لاوسون..؟

- نعم.. نعم.. لقد وقع شيء رهيب.. شيء فظيع.

فسألتها في اهتمام: ما الذي حدث..؟

لقد ذهبت بعد ظهر الأمس إلى فندق ويلنجتون لازور بيلا، فقيل لي إنها غادرت الفندق في الصباح.. أفليس غريبا إنها لم تتصل بي..؟ إذن فقد كان دكتور تانوا على حق في شأنها.. لابد إنها مصابة باختلال عقلي.

- ولكن ما الذي حدث يا مس لاوسون..؟ هل كل ما هناك أنها تركت الفندق دون أن تخطرك..؟

- كلا.. كلا.. ليس الامر كذلك والا لهانت المسالة.
فعدت الح متسائلا وقد ضاق صدري بثرثرتها،
- ولكن ما الذي حدث..؟ هل أخبرتني..؟
فاجبت: لقد ماتت بيلا أثناء نومها.. تناولت قدرا مضاعفا من دواء منوم فماتت.. مساكين هؤلاء الأطفال..! إنني مازلت أبكي منذ سمعت النبا.
- ولكن كيف عرفت بالأمر..؟
ولاحظت من ركن عيني أن بوارو كف عن فض رسائله، وادار عينيه إلى ناحيتي مترقبا.
وقالت مس لاوسون: لقد أتصل بي مدير الفندق.. أعني فندق كونستون الذي أنتقلت إليه بيلا، فقد وجدوا اسمي ورقم تليفوني مدونين على رقعة ورق في حقيبتها.. اليس الأمر فظيعا يا كابتن هاستنج..؟
فسالتها: أمتأكدة أنت من أن موتها كان قضاء وقدرا، وليس انتحارا..؟
فسالتها أنها إنتحرت..؟ لقد كانت المسكينة على اقصى درجات الياس، ولكنني صارحتها بأنني سأنزل لها عن جزء من ثروتي، فسرى عنها وطابت نفسا، فلماذا تنتحر بعد ذلك..؟
- وما هو الدواء المنوم الذي تناولته..؟
- لقد قال لي مدير الفندق إنها تناولت حبوب الكلورال.. نعم الكلورال.. هل تعتقد يا كابتن هاستنج أن..
وكانت الوسيلة الوحيدة للتخلص من ثرثرتها أن أعيد السماعة مكانها، وتحولت إلى بوارو لافضي إليه بما سمعت، ولكنه لوح لي بيده يسكتني وقال وهو ينهض واقفا:
- حسبك فإني أعرف كلَ ما تريد أن تقول.. لقد كنت أتوقع لها هذه النهاية، فلنمض من فورنا إلى الفندق.
فقلت: إن مدير الفندق يقرر أن الحادث كان قضاء وقدرا، وإنما انتحرت.

وقال لنا مدير فندق كونستون حين قابلناه إن مسز بيترز -وهو الاسم الذي انتحلته بيلا لنفسها- نزلت في فندقه مع أولادها عند ظهر اليوم السابق. وفي الساعة الرابعة جاء إلى الفندق رجل بعث إليها برسالة في غرفتها، وبعد بضع دقائق نزلت مسز بيترز بحقائبها يصحبها أطفالها وخرجت مع الزائر بعد أن أخطرت كاتب الاستعلامات أن يحتفظ لها بغرفتها لأنها ستعود بعد قليل.

وفي السابعة مساء تناولت عشاءها، وكانت تبدو هادئة الأعصاب لا يعروها أي اضطراب، ثم صعدت إلى مخدعها.

واستطرد مدير الفندق قائلا إن الوصيفة حين دخلت عليها في الصباح ألفتها جثة هامدة. ودعي الطبيب على الفور، فقرر إنها ماتت منذ بضع ساعات إثر تناولها جرعة مضاعفة من منوم الكلورال. وقد عثرنا في حقيبتها على رقعة بها اسم مس لاوسون ورقم تليفونها فاتصلنا بها على الفور وأخطرناها بما حدث.

وسألت مدير الفندق عن أوصاف الرجل الذي صحبته مسز تانوا إلى الخارج مع أطفالها، فلما سردها على قلت لبوارو:

- إنه ليس الدكتور تانو بكل تأكيد.

فقال بوارو: كيف يمكن أن يخطر لك يا هاستنج أنها ترضي بأن ترافق زوجها إلى الخارج بعد أن بذلت أقصي جهدها في الفرار منه.

- إذن من يكون الرجل..؟

- صديق تثق به.

وفي مخدعها لم نجد أثرا للرسالة التي بعث بها اليها زائرها المجهول. بل وجدنا رمادها متخلفا في منضة السجائر.

وقال بوارو: إن الرسالة لم تحرق وحدها، بل حرق معها أيضا التقرير الذي عهدت به إليها لكي تقرأه. ومع ذلك فليس لهذا من أهمية. والان هيا بنا نقابل الأحياء من الأسرة، فهم وحدهم الذين يعنيني أمرهم.

من هو الشخص المجهول ؟ !

في الحادية عشرة من صباح اليوم التالي كان خمسة من أفراد الأسرة مجتمعين في فيللا ليتل جرين، وهير كيول بوارو يتصدر القاعة، وظهره مستند إلى المدفأة.

فها هي تيريزا جالسة على الأريكة، وأخوها شارل مستو فوق المسند وقد أحاط كتفيها بذراعه. وهذا هو الدكتور تانوا متهالك في مقعد فوتيل، وعيناه محمرتان، وحول ذراعه شريط الحداد الأسود، وأما مس لاوسون ربة الدار فكانت جالسة إلى منضدة صغيرة في ركن الغرفة مستندة إليها بمرفقيها، وشعرها منفوش، وعيناها متضرجتان إحمرارا لفرط البكاء.

أما الدكتور دونالدسون فكان جالسا على أحد المقاعد في مواجهة بوارو، وهو جامد الوجه، تطل من عينيه نظرة توحي بالمشاكسة.

ومضيت أتأمل الوجوه الماثلة أمامي، وأسائل نفسي أي هؤلاء هو القاتل، مترقبا في لهفة وفروغ صبر اللحظة التي يزيح فيها بوارو القناع عن وجه القاتل المجهول.

وتنحنح بوارو يجلي مسالك صوته وقال: لقد اجتمعنا هنا سيداتي وسادتي للتحقيق في وفاة اميلي اراندل التي ماتت في اليوم الأول من شهر مايو الماضي. وهناك في هذا الصدد أربعة احتمالات: أن تكون قد ماتت ميتة طبيعية-أو ماتت نتيجة حادث- أو أنها انتحرت- أو أخيرا قتلت على يد شخص مجهول.

وعند وفاة مس اراندل لم يجر في هذا الشأن أي تحقيق، لأن الظواهر كانت تدل على أن وفاتها كانت لأسباب طبيعية، وقد حرر الدكتور جرينجر شهادة الوفاة على هذا الأساس.

والمألوف في حالة قيام الاشتباه في سبب الوفاة أن نسارع إلى طلب تشريح الجثة، ولكنني امتنعت عن اتخاذ هذا الاجراء لاسباب معينة لدي، أهمها أن موكلتي-أعني مس أراندل- ما كانت لترضي بهذا، إذ علمت من طباعها ما أدركت منه إنها كانت تتوقي إثارة الفضائح.

وبعد هذا سرد بوارو على القوم ما كان من أمر الرسالة التي تسلمها من أمر اكتشافه المسمار المدقوق في جدار السلم.

وتنحنح بوارو مرة أخري، ثم استطرد يقول:

- والآن سأسرد عليكم ما دار بذهن مس اراندل عن حادث سقوطها فوق السلم طبقا لما أتخيله.

لقد ظنت مس اراندل، كما ظن الجميع، أنها داست فوق كرة الكلب بوب فانزلقت قدمها وأختل توازنها، فوقعت. ولكن بعد أن صفا ذهنها من أثر الحادث أدركت أن لا شأن للكرة بسقوطها.. لقد أدركت في جلاء أن شخصا ما حاول أن يقتلها.

وانتقلت خواطر مس اراندل بعد هذا إلى التساؤل عمن يكون هذا الشخص..؟ عمن يكون هذا القاتل المجهول..؟

كان في البيت عند وقوع الحادث سبعة أشخاص: اثنان من الخدم، ووصيفتها لاوسون، وأربعة من الضيوف. ومن هؤلاء السبعة شخص واحد يمكن استبعاده إذ لا مصلحة له في موتها، وأعني به مس لاوسون، إذ أن حادث السقوط على السلم وقع أثناء سريان الوصية الأولي التي لا تستفيد منها مس لاوسون شيئا. وقد استبعدت مس اراندل أيضا الخادمتين من دائرة الاشتباه، لأنها تثق فيهما، وتعرف مدي تفانيهما في خدمتها. فلم يبق إذن أمام مس اراندل إلا الضيوف الأربعة، وأحدهما هو الذي حاول أن يقتلها دون شك. وثلاثة من هؤلاء يستفيدون من موتها إذ هم الذين ستؤول إليهم ثروتها، أما الرابع فيستفيد بطريقة غير مباشرة، وأعني به الدكتور تانوا.

كانت مس اراندل في موقف صعب شديد الحرج، فإنها امرأة تقدس الروابط العائلية، وتأبي أن تثير فضيحة حول اسم الأسرة إن هي أبلغت الشرطة، ولهذا قررت أن تكتب إلى تسألني العون.

وليس هذا فقط، بل إنها قررت أن تتخذ إجراء آخر، هو إلغاء الوصية وتحرير وصية جديدة.. وفي رأيي أنها أرادت أن تعبر بكتابة الوصية الجديدة عن نقمتها على أسرتها جميعا، إذ كانت ترتاب فيهم بلا استثناء، وتشتبه في أن أحدهم هو الذي حاول أن يقتلها.

والسبب الثاني الذي دفعها إلى كتابة الوصية الجديدة وحرمان أهلها من ثروتها هو أنها أرادت أن تقول لهم إن أحدا منهم لن يستفيد من موتها لأنهم لن يرثوا شيئا، فعليهم إذن أن يكفوا عن محاولات قتلها، وأن يدعوها تعيش في سلام.

وقد تجلي لي بوضوح من الخطاب الذي كتبته انها استبعدت من دائرة الاشتباه الوصيفة والخادمتين، لأنها طلبت مني أن التزم الكتمان، وأن لا أتخذ أي اجراء من شأنه إثارة فضيحة حول اسم الأسرة وشرفها. وأعتقد أن شكوكها اتجهت ناحية شارل اراندل لأنه هو رمز الأسرة الذي يحمل اسمها، فبيلا اراندل تنتسب إلى زوجها الدكتور تانوا وتحمل اسمه، وتريزا لن يختلف أمرها عن ذلك عندما تتزوج. كما انها كانت تعرف عن يقين أن شارل شاب مستهتر أفاق، لا يتورع عن شيء من أجل المال.

ومما ضاعف اشتباهها في شارل ارانـدل أنه قبل حادث السلم بيومين وقع نزاع بينهما، فقد طلب منها شارل شيئا من المال، فأبت عليه، فقال لها باستخفافه المعهود إنه يحسن بها أن لا تضن بمالها على أسرتها، وإلا فإن أحدهم قد يفكر في أن (يزيحها) من الطريق. وبعد هذا الحديث-أو هذا التهديد ان شئتم- وقع حادث السلم بعد يومين أثنين. وهكذا استقر في ذهن مس اراندل أن شارل هو الذي دبر مكيدة السلم.

وهكذا تداعت الحوادث تباعا إلى أن انتهي الامر بزيارة المحامي بيرفيس لها يوم الثلاثاء ١٢ أبريل، وتوقيعها الوصية الجديدة.

وفي عطلة الأسبوع التالية لحادث السلم زارها شارل وأخته تريزا، فحدثت مس اراندل ابن أخيها عن الوصية، بل إنها أطلعته عليها. وكان هدفها من ذلك أن تكون معرفته بأمر الوصية الجديدة هي صمام الأمان الذي يحميها ضد محاولات القتل، فإن شارل-وهو الذي كانت مس اراندل تشتبه فيه أساسا-لن يفكر في قتلها، مادام لن يرث ولن يستفيد شيئا من وراء موتها.

وكانت مس أميلي اراندل تعتقد أن شارل سينقل نبأ الوصية الجديدة إلى أخته تريزا، ولكنه لم يفعل، وانما كتم الأمر دونها، فلماذا كتمه..؟أعتقد أن سبب الكتمان هو شعور شارل بالذنب وبمسؤوليته عن تحرير الوصية الجديدة، وكان لدي شارل دون شك سبب قوي يبرر شعوره بالذنب، فإما أن يكون السبب هو مجرد اختلاسه بضعة جنيهات من درج المكتب، مما أثار سخط عمته عليه وعلي الأسرة جمعاء.ولذلك لم يحدث شارل أخته تريزا عن الوصية الجديدة لأنه يشعر أنه هو الذي دفع عمته إلى تحريرها، سواء بسبب محاولة القتل الكبري، أو بسبب جريمة السرقة التافهة. وكان يأمل خلال ذلك أن تعدل عمته عن رأيها وتعود إلى الوصية القديمة.

وسكت بوارو برهة، ثم استطرد يقول: ما رويته لكم حتي الآن كان تعبيرا عن رأي مس اراندل في هذه الأحداث طبقا لما تخيلته عنها. أما الآن فأريد أن أشرح لكم وجهة نظري الشخصية.

لقد أشتبهت مس اراندل في سبعة أشخاص: الوصيفة والخادمتان، ثم شارل وأخته تريزا، وبيلا وزوجها الدكتور تانوا. أما أنا فأضفت إليهم شخصا ثامنا وضعته موضع الاشتباه، وأعني به الدكتور دونالدسون، الذي تناول العشاء معهم ليلة وقوع حادث السلم، وإن كنت لم أقحمه في مسرح الأحداث إلا أخيرا

بعد أن علمت بنبأ هذه الزيارة.

وقد قسمت هؤلاء المشتبه فيهم السبعة إلى مجموعتين: المجموعة الأولي تضم ستة أشخاص يستفيدون من موت مس اراندل، إذ تؤول إليهم ثروتها حتي ولو بطريق غير مباشر كما هو شأن الدكتور تانوا. أما المجموعة الثانية فمكونة من شخص واحد هو مس لاوسون التي لا تستفيد شيئا من موت مس اراندل، وذلك بالنسبة إلى حادث السلم الذي وقع أثناء سريان الوصية القديمة، وقبل كتابة الوصية الجديدة.

وهنا يجب أن لايفوتنا أن نلاحظ أن مس لاوسون استفادت من حادث السلم، اذ كان هو السبب في كتابة الوصية الجديدة واستيلائها على ثروة مس اراندل.

فهل يعني ذلك أن مس لاوسون هي التي دبرت مكيدة السلم حتي تثير حفيظة مس اراندل وسخطها ضد أسرتها..؟

وهتفت مس لاوسون تقاطع بوارو:

- إنني لم أفعل شيئا من هذا القبيل.. ليس من الإنصاف يا مسيو بوارو أن توجه إلى هذا الاتهام.

فقال بوارو: صبرا يا آنسة صبرا، وأرجوك أن لا تقاطعيني.

ثم استطرد يتابع الحديث: كنت أتساءل عما إذا كانت مس لاوسون هي التي دبرت حادث السلم حتي تثير سخط مس اراندل على أسرتها.. كان هذا بالطبع احتمالا قائما. ولكن اذا كان الأمر كذلك فإنه كان يجب على مس لاوسون أن تبلغ سيدتها ان الكلب بوب قضي ليلته خارج البيت، أو بعبارة أخري أنه لم يلعب بالكرة بعد إيداعها درج المكتب، وإذن فيكون الذي أخرج الكرة من الدرج ووضعها على البسطة حتي تطأها مس اراندل بقدمها وتسقط على السلم-هو أحد أفراد الأسرة.

ولكن الذي حدث هو العكس، وذلك أن مس لاوسون كانت حريصة أشد الحرص على أن لا تعرف سيدتها أن الكلب بوب بات خارج البيت، وهذا الكتمان

منها يبعد الشبهة عن أفراد الاسرة، وهو أمر لا يتفق مع القول بأن مس لاوسون دبرت مكيدة السلم لتثير الشكوك في أفراد الأسرة، ولذلك استنتجت أن مس لاوسون بريئة، ولا شأن لها بمكيدة السلم.

وغمغمت مس لاوسون وقد سمعت هذه الكلمات:

- شكراً لك.. شكراً لك يا سيدي.

واستطرد بوارو قائلاً: ولقد قلت في نفسي: إنه إذا كان أحد قد حاول أن يقتل مس اراندل وفشل، فلابد طبقاً للتجارب العملية أن يقوم بمحاولة أخري، وقد أوحي إلى موت مس اراندل بعد أسبوعين من حادث السلم بأن من المحتمل أن محاولة القتل الثانية قد وقعت، ونجحت ولهذا بدأت أقوم ببعض التحريات.

لقد أكد لي الدكتور جرينجر أن موتها كان طبيعياً، وكان في قوله هذا هدم لنظريتي عن قتلها، ولكنني تحريت عما حدث قبل أن ينزل بها المرض، فعرفت أنها في تلك الليلة اجتمعت في بيتها مع مس لاوسون والأختين تريب في جلسة لتحضير الأرواح.

وقد وردت على لسان إحدي الاختين تريب عبارة أثارت اهتمامي، فقد قالت إنه بعد استحضار الروح والغرفة مظلمة ظهرت هالة من النور حول رأس مس لاوسون، وهذا دليل على أن الروح بدأت تتجسد لهن، وأكدت الأخت الثانية واقعة هالة النور.

أما مس لاوسون فقالت إنها رأت شريطاً من النور يخرج من فم مس اراندل، وتتشكل هالة حول رأسها أي أن مصدر الهالة هو ذلك الشريط الذي خرج من فمها.

وسواء كان هذا أو ذاك فإن النتيجة كانت واحدة لا تختلف، وهي أن هناك هالة تكونت، وبصرف النظر عن نظرية تجسد الأرواح، فإن هذه الهالة لا يمكن أن تتكون إلا إذا كانت أنفاس مس اراندل مشبعة بالفوسفور في تلك الليلة، أي أن هذه الهالة ناشئة عن تجمع بخار الفوسفور الناتج عن أنفاس مس اراندل.

وسكت مسيو بوارو برهة، ثم تابع الحديث قائلاً:

- إن ما رأته مس لاوسون والاختان تريب حول رأس مس اراندل لم يكن هالة من النور، وإنما كان البخار الفوسفوري المنبعث من جوفها مع أنفاسها.

ولكن من أين جاء هذا الفوسفور إلى جوف مس اراندل..؟ إنه ناتج من حالة تسمم، ولكن هل ظهرت أعراض التسمم الفوسفوري على مس اراندل..؟

نعم ظهرت، فكيف إذن لم يفطن طبيبها إلى هذه الأعراض..؟

مس اراندل كانت مصابة بالصفراء، أي بالوباء الكبدي، ومن أعراضه هي إصفرار البشرة والعينين، وأعراض التسمم الفوسفوري مشابهة لهذا، ولذلك لم يفطن الطبيب إلى أنه إزاء حالة تسمم وليس إزاء حالة مرض الصفراء، وهكذا كانت خطة القاتل محكمة شديدة الاتقان، فقد استغل مرض مس اراندل المزمن بالصفراء لتسميمها بمادة تتحد أعراضها مع أعراض الصفراء حتي لا يفطن الطبيب إلى ما حدث، وهذا يدل على ما يتميز به القاتل من دهاء، ولذلك كان من السهل على الطبيب أن ينخدع، خاصة أنه دأب منذ سنوات على علاج مس اراندل من الصفراء، فإذا ما شكت المرض قيل إنها مصابة بالصفراء وليس بحادث تسمم.

وهكذا تأكدت من شهادة لاوسون والاختين تريب أن هناك جريمة قتل قد ارتكبت، وكان السؤال الذي يفرض نفسه بعد هذا هو: من القاتل؟

وكان أول شيء استقر عليه رأيي هو استبعاد الخادمتين من نطاق الاشتباه، فلا عقليتهما ولاخبرتهما يمكن أن تسمح لهما بتدبير هذه الجريمة العملية المعقدة لما طبعتا عليه من بساطة وسذاجة.

وكذلك استبعدت مس لاوسون، فلو إنها هي التي دبرت هذه الجريمة لما أطنبت وثرثرت عن (هالة النور)، فتلك ظاهرة كفيلة بأن تكشف سر الجريمة ثم استبعدت شارل اراندل، لأنه يعرف وقد رأي الوصية أنه لن يستفيد شيئاً من وفاة عمته.

وبقيت لدي بعد ذلك تيريزا، والدكتور تانوا ومس تانوا، والدكتور دونالدسون، الذي اكتشفت فيما بعد أنه تناول العشاء مع الأسرة ليلة حادث كرة الكلب.

وفي البداية استعرضت الرجلين، فكلاهما طبيب، وكلاهما على قدر كبير من الذكاء، وكلاهما يستطيع أن يدرك بسهولة أن الفوسفور هو السم المناسب في حالتنا هذه لتشابه أعراضه مع أعراض الصفراء.

بيد أن حادثة كرة الكلب لم تكن من طراز الجريمة تدبيراً (رجالياً)، وإنما هي جريمة ذات طابع نسائي، فقد أشرت من قبل إلة أن الشخص الذي دبر مكيدة السلم وفشل سيحاول دون شك أن يقوم بمحاولة أخري للقتل.

ولهذا استبعدت الطبيبين من الاشتباه لأنهما لا يمكن أن يفكرا في جريمة ذات طابع نسائي.

وأخذت أدرس ظروف تيريزا.. إنها فتاة جسور طائشة، وليس لديها وازع من ضمير، وحياتها مليئة بالجشع والأنانية، وقد عاشت حياة مترفة نالت فيها كل ما تصبو إليه نفسها، حتي نضبت مواردها، وأصبحت هي والرجل الذي تحبه في حاجة ماسة ملحة إلى المال، كما أنني أدركت من أحاديثها معي أنها تعرف أن عمتها ماتت مقتولة.

ولقد أدركت أيضاً مما جري أمامي من أحاديث أن أخاها شارل يشتبه في أنها هي القاتلة، كما كانت هي نفسها تشتبه في أنه هو القاتل، فقد حاول شارل أن يجعلها على ان تقول أمامي إنها تعرف بأمر الوصية الجديدة، فلماذا قام بهذه المحاولة..؟

لأنها كانت تعرف أن هناك وصية جديدة، فإن أحداً لن يشتبه في أنها القاتلة.. ومن الناحية الأخري كانت تيريزا تعتقد أن شارل كاذب في ادعائه أن عمته اطلعته على الوصية الجديدة، واعتبرت هذا الادعاء من جانبه محاولة فاشلة دفاعاً عن نفسه واثباتاً لبراءته.

وثمة أمر آخر.. في حديث جري بيني وبين شارل اراندل أبدي تحرجاً من النطق بكلمة (زرنيخ)، عندما كنا نتحدث عن السموم، إذ سكت في سياق الحديث يفكر في كلمة أخري، ثم استعمل كلمة أخري هي الاستركنين، مع أن أول كلمة

تخطر بالبال عند التحدث عن السموم هي التسمم بالزرنيخ فإنه هو الاسم الشائع على الالسن.. وفي حديث جري بعد ذلك بيني وبين البستاني عرفت أن شارل تحدث إليه عن مبيد قوي للافات، فذكر له البستاني مبيداً يدخل الزرنيخ في تركيبه، وما أن سمعت هذا حتي أدركت السبب في تحرج شارل من استعمال كلمة زرنيخ في حديثه معي حتي لا يثير انتباهي إلى هذا السم الذي طالما تحدث عنه مع البستاني.

وانبري شارل يقول مقاطعاً في استخفاف ومرح:

- لقد فكرت حقاً في قتل عمتي، ولكن الشجاعة لم تواتني.

فقال بوارو مؤمناً: لقد درست نفسيتك وطباعك، وأدركت أن مجال جرائمك مقصور على التافه منها: تزوير توقيع.. اختلاس حفنة من الجنيهات.. إصدار شيك بغير رصيد.. أما القتل فلا.. إن ازهاق الأرواح ليس من شيمة شارل اراندل.

واستطرد بوارو يتم حديثه عن مقتل اميلي ارانديل:

- والآن أعود إلى حديثي عن تيريزا ارانديل.. لقد استقر في ذهني أنها هي القاتلة.. كان هذا في البداية، ولكن قامت في رأسي اعتبارات أخري بددت هذا اليقين.. من ذلك أن تيريزا أمضت حياة سلسة هادئة حريصة على تجنب المشاكسات، لم تصطدم فيها بإنسان، فكيف وعلي حين بغتة تصطدم مع عمتها إلى درجة تدفعها إلى ارتكاب جريمة قتل..؟ نعم.. إن تيريزا ارانديل لم تكن من الطراز الذي يقتل..! إلا إذا كان ذلك طبعاً في حالة هياج وغضب، ولكنني رغم ذلك كنت على يقين من أن تيريزا ارانديل هي التي سرقت مبيد الحشرات من كوخ البستاني.

وانبرت تيريزا تقول بغتة: سأصارحك بالحقيقة يا مسيو بوارو.. لقد فكرت في ذلك، وفعلا أخذت خفية من صندوق البستاني كمية من المبيد، ولكن لم أجرؤ على استعمالها.. إنني مولعة بحب الحياة، فكيف ازهق روح إنسان وأحرمه من نعمة الحياة..؟

وأومأ بوارو مؤمناً وهو يقول: صدقت.. لقد كان هذا هو ما خرجت به من

دراسة شخصيتك وخفايا نفسيتك.

ثم استطرد: والآن لم يبق لدي من المشتبه فيهم إلا بيلا.. أعني مسز تانوا. منذ أول لقاء لنا تبينت من فوري أنها كانت خائفة، وقد أحست هي أنني أدركت ذلك، فعمدت على الفور إلى اتخاذ صورة واضحة للمرأة الخائفة على زوجها ثم عمدت فيما بعد إلى تعديل خطتها، وقد فعلت ذلك في براعة ودهاء، ولكن هذا التغيير لم يخدعني ولم يجز علي، فالمرأة إما أن تكون خائفة (علي زوجها)، وأما أن تكون خائفة (من) زوجها، أما أن تكون خائفة (عليه) وخائفة (منه) في وقت واحد، فأمر مستحيل وكان هذا هو أحد العوامل التي أثارت شكوكي فيها وهكذا تظاهرت مسز تانوا أخيراً بأنها خائفة من زوجها، وأدت هذا الدور ببراعة إلى درجة هرعت ورائي إلى بهو الفندق، مدعية أنها تريد أن تفضي إلى بسر خطير، وكانت تعلم طبعاً أن زوجها سوف يلحق بها حتماً، فلما جاء في أعقابها غيرت مجري الحديث، متظاهرة بأنها لا تريد أن تتكلم أمام زوجها، وأنها كانت تكرهه.

وبدأت أحلل نفسيتها وشخصيتها.. هذه امرأة بسيطة، تحيا حياة بسيطة مملة، عاجزة عن أن تسترعي إلى نفسها أبصار الرجال، وهي التي تتمني أن يفتتنوا بها، ولكن شيئاً من ذلك لم يقع، مما جعلها تعتقد أنها ستظل عانساً حتي يوافيها الأجل، ولذلك رضيت أخيراً بأن تتزوج رجلاً لا تحفل به حتي لا تبقي عانساً وزاد الطين بلة أن مضي بها زوجها إلى بلاد الحبشة محرومة من مظاهر المدنية الحديثة، ثم أنجبت أطفالاً فتعلقت بهم، وكان هذا هو كل نصيبها من دنياها: حرمان من الحياة المتحضرة، وتكريس وقتها لأولادها كأنها جارية أجيرة.

وهكذا بدأت مسز تانوا تكره زوجها لأنه كان السبب في حياتها المجدبة الحافلة بالملل، وزاد من كراهيتها له أنه أخذ مالها، فضارب به وخسره في المضاربات.

بيد أن شيئاً واحداً كان يلقي بصيصاً من الضوء في حياتها المظلمة الكاحلة، ذلكم هو موت عمتها مس اميلي اراندل.. في يوم ما سوف تموت

عمتها، وتتيح لها من الحياة المترفة الناعمة ما تصبو إليه.

وهكذا وثبت إلى ذهنها فكرة الجريمة.

إنها لا يمكن أن تصبر حتي تموت عمتها ميتة طبيعية، وإنما عليها أن تبادر إلى قتلها، وحسبها ما انتظرت حتي اليوم.

كانت بيلا على معرفة كافية بالمعلومات الكيمائية إذ كانت قبل وفاة أبيها تعاونه في معمله وفي أبحاثه.. فكانت دون شك تعرف أن تناول الفوسفور ينتج نفس الأعرض التي تنشأ عن مرض الصفراء، وهو الداء الذي تعاني منه عمتها، وإذن فالفوسفور هو أنسب السموم وأشدها ملاءمة لقتل عمتها، فإذا ما ظهرت عليها أعراضه عزيت بداهة إلى مرض الصفراء.

فلما جاءت تزور عمتها وتقيم معها في عطلة الأسبوع تبدت لها للقتل وسيلة أخري أبسط وأسهل.. كرة الكلب، والخيط المشدود عبر بسطة السلم.. وقامت بالمحاولة واخفقت.

واعتقد أنه لم يدر بخلدها أبداً أن مس اراندل اكتشفت سر سقطتها، وأنها آمنت - كما آمن الجميع - أنها وطئت الكرة فوقعت.

ولكن مس اراندل أدركت حقيقة الأمر، واتجهت شبهاتها إلى شارل اراندل وحده بدليل أنها اطلعته على الوصية الجديدة، حتي يعلم أن موتها لن يفيده شيئاً، فلا يعود يفكر في القيام بمحاولة جديدة لقتلها.

وهكذا عادت بيلا إلى فكرتها القديمة، وهي قتل عمتها بالفوسفور، ولم يكن أسهل عليها من تنفيذ هذه الخطة بأن تفتح الكبسولات التي اعتادت عمتها أن تتناولها، فتضع فيها المادة السامة، ثم تعيد اغلاقها كما كانت، ولما كان مفعول هذا السم ليس فورياً، وإنما ينتج أثره بعد عدة أيام، فإن الشبهة لن تتجه إليها، لأنها لن تكون مقيمة في فيللا ليتل جرين عندما ينزل الموت بعمتها.

ومع ذلك فقد احتاطت للأمر، فزورت تذكرة طبية بامضاء زوجها الطبيب لشراء

الكلورال وهو دواء منوم قوي المفعول حتي إذا اتجهت إليها الشبهات تناولت جرعة كبيرة من الدواء المنوم فتقضي على حياتها بنفسها بدلاً من أن تقع في يد العدالة.

ولقد ارتبت في مسز تانوا منذ أول لحظة، ولكن لم يكن لدي دليل ضدها، ولهذا كنت مضطراً أن أعمل في حذر، كذلك كنت أتوقع أن تحاول ارتكاب جريمة جديدة، إذ كانت تتمني أن تقتل زوجها حتي تتخلص من الحياة المملة التي تعيشها.

إن الثروة آلت حقيقة إلى مس لاوسون، ولهذا أخذت ترمي حولها شباكها، وتضغط على ضميرها محاولة أن تجعلها تتنازل لها عن جزء من ثروتها.

وقطع الحديث على بوارو صوت مس لاوسون وهي تجهش بالبكاء.

- إنني امرأة شريرة.. إنني امرأة شريرة..! لقد استبد بي الفضول حتي كتبت ارانـدل وصيتها الجديدة، وتمنيت أن أعرف فحواها، فاغتنمت فرصة نومها ذات يوم، وفتحت الدرج واطلعت على الوصية.. وقد ذهلت حين وجدت أنها تركت كل شيء لي.. نعم.. كل شيء.. وكنت أعتقد أذ ذلك أن ثروتها لا تزيد على بضعة آلاف من الجنيهات.. لم أكن اتصور أبداً أنها تبلغ ثلث مليون جنيه، وأثناء مرضها طلبت مني أن آتيها بالوصية الجديدة من درج المكتب، وخطر لي أنها ستمزقها، وبذلك أحرم من الثروة، مع أنني أحق بها من أقاربها، لأنني أنا التي قمت على خدمتها، وتفانيت في رعايتها، ولذلك كذبت عليها وقلت لها إن الوصية ليست في درج المكتب، وإنها أعطتها دون شك لمحاميها.

واستطردت مس لاوسون: يا إلهي..! لشد ما كنت امرأة شريرة، ولكنني الآن سأكفر عن ذنبي.. سأشرك الجميع معي في الثروة.. سأخص نفسي بنصيب يكفيني، وأوزع الباقي على الورثة الشرعيين، فهذا هو الذي سيشعرني بالسعادة الحقيقية، ولقد قلت لبيلا حين زارتني إنني سأقدم إليها نصف ثروتي.

وإذ سكتت مس لاوسون عن الحديث عاد مسيو بوارو إلى الكلام فقال: ولهذا السبب كانت مسز تانوا تعارض في اتخاذ أي إجراء لإلغاء الوصية أو أن تظاهرت

أمام زوجها كذباً أنها تقره على رأيه من ضرورة العمل على إلغائها.

وكان هدفها في تلك الايام يتركز في أمرين: التخلص من زوجها والحصول على الثروة، وبذلك تستطيع أن تعيش في ترف ونعيم بعيدة عن هذا الزوج الذي تمقته، وحتي لا يستولي على ثروتها الجديدة فيبددها كما سبق أن فعل بما ورثته عن أبويها.

وبنت خطتها على إيهامي بأن زوجها يريد أن يقتلها ولكنني كنت أعلم أن منوم الكلورل القتال في حوزتها، وأنه من المحتمل جداً أن تقتل زوجها في أية لحظة لكي تتخلص منه مدعية أنه أفرط في تناول المنوم.

وتابع بوارو الحديث قائلاً:

- ولقد ذكرت لي مس لاوسون في سياق حديثها أن رأت مس تيريزا اراندل راكعة فوق درجات السلم، وأنها تعرفت عليها من الحروف الأولي من اسمها المحفورة على الدبوس المثبت بصدر روبها الأخضر، وقد اربكتني هذه الواقعة وحيرتني لأن اتهام تيريزا اراندل بالجريمة كان مخالفاً لمنطق الأحداث.

ولكنني ما لبثت أن اهتديت إلى سر هذا اللغز.

الحرفان اللذان رأتهما مس لاوسون هما حرفا: (ت. أ) ولكن فاتها أن المرآة تعكس الصور وتقلبها، أي أن الحرفين في حقيقتهما وأصلهما هما: (أ. ت) فلما عكستهما المرآة رأتهما مس لاوسون باعتبارهما حرفي: (ت. أ) أي تيريزا اراندل.

فمن هي المرأة صاحبة الدبوس المحفور عليه الحرفان: (أ. ت)..؟

إنهم يطلقون على مسز تانوا اسم (بيلا) ولكنه في الحقيقة اسم تدليل، فإن اسمها الحقيقي هو: (ارابيلا).. أي أن الحرفين: (أ. ت) يرمزان لاسمها وهو: (ارابيلا تانوا).

وبذلك تكون المرأة التي رأتها مس لاوسون منحنية فوق السلم هي بيلا أي ارابيلا تانوا وليس تيريزا كما توهمت استناداً إلى حروف الدبوس المعكوسة.

وهذا هو ما كان متفقاً مع منطق الأحداث وتدرجها العقلي في ذهني.

والآن ما العمل..؟ كيف أتصرف..؟ لو أنني اتهمت بيلا لما كان لدي دليل

يؤيد شكوكي.

ولذلك اعددت تقريراً مطولاً اثبت فيه كل هذه الوقائع.. فلما التقيت بمسز تانوا، وزعمت أنها خائفة من زوجها، وأنه يريد أن يقتلها.. قدمت إليها التقرير الذي سردت فيه أحداث القضية، وطلبت منها أن تقرأه وأن تتصل بي في اليوم التالي.

وحين قرأت التقرير أدركت أن سرها قد انكشف وأن مكيدتها لم تعد خافية، فما كان منها إلا أن تناولت جرعة كبيرة من الكلورال، وماتت منتحرة حتي تتفادي بذلك الوقوع في يد العدالة ودخول السجن.

وانبري الدكتور تانوا يقول: إنك على حق يا مسيو بوارو.. نعم.. إنها أرادت أن تقتلني، ففي الأيام الأخيرة حاولت أن تقنعني أكثر من مرة بأن أتناول منوم الكلورال.

فقال بوارو: هذه كانت نيتها المبيتة ضدك فقد زورت التذكرة الطبية بإمضائك للحصول على الكلورال.

وغمغم الدكتور تانوا: ولكن هذا عجيب.. أهذه المرأة المطيعة المستسلمة الخانعة تقدم على كل هذا..؟

فقال بوارو:

- كل هذا الاستسلام لم يكن إلا جزاء من التمثيلية حتي لا تتجه إليها الشكوك.. وقد نجحت في ذلك فعلاً، وأشارت أصابع الاتهام إلى غيرها.. ولكنني جئت في الوقت المناسب وكشفت القناع عن سرها.. حقيقة لم يكن لدي دليل يؤيد استنتاجاتي المنطقية، ولكن القدر لم يكن غافلا، فقد انتحرت القاتلة، وبذلك تكون العدالة قد اقتصت لنفسها.

تمت

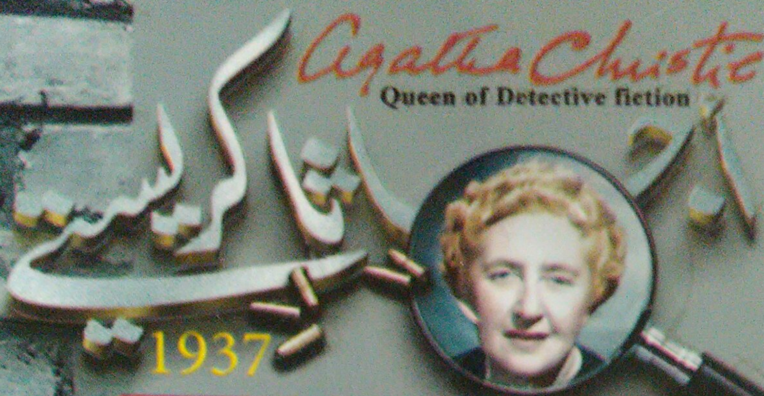
الشاهد الصامت
اجاثا كريستي



الرمحي احمد

مجموعة اجاثا كريستي





الشاهد الصامت

- أجاثا كريستي هي كاتبة إنجليزية اشتهرت بكتابة الروايات البوليسية تعد أعظم مؤلفة روايات بوليسية في التاريخ حيث بيعت أكثر من مليار نسخة من رواياتها وترجمت للغات كثيرة.

لطالما ردّدت هذه الكاتبة، أن أعظم متعة يحس بها المؤلف هي اختراع الحبكات..!! ففي قصصها ورواياتها كما في مسرحياتها نجد ذلك (الكم) الهائل من (الألغاز) و(الحبكات الغامضة)، وفي العادة تلجأ الكاتبة إلى تكنيك قصصي يستند إلى (الحيلة أو الخدعة) كأسلوب إثارة وتشويق مفعم بالغموض والتفسيرات المتضادة معا، وبذلك تشد القارئ إلى متابعة الحدث دون أن تبتعد به عن المحور الأساسي للبناء الدرامي الذي خططت له بإتقان، لكي لا يخرج عملها مسطحاً فجاً.!!

W.Salama 0100 15 17 873



I.S.B.N. 978-977-758-020-5
9 789777 580205